# من معاناة الإسلام والمسلمين

**المرجع الديني الراحل**
**آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي**
**(قدس سره الشريف)**

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

تهميش:
مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت لبنان ص ب ٥٩٥٥ / ١٣ شوران

# سورة الفاتحة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (٧)

رجوع إلى القائمة

## كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يولد الإنسان حينما يولد على الفطرة السليمة التي خلقها الله تبارك وتعالى معه، أي: أنه يولد على التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد العادل: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾[1] وفي هذا الشأن ورد الحديث النبوي الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[2] وهنا وبحكم التيارات والأهواء الضالة والمضلة التي يتبناها الظالمون تولد معه مشاكل كثيرة، منها ما يخص عقيدته ومعتقداته وهي الأهم، ومنها ما يخص حياته في البيئة والمجتمع، أي بما يرتبط بمعيشته، ومن هنا احتاج الإنسان إلى النظم والقوانين لمعالجة هذه المشاكل، وإيجاد الحلول لها بطريقة سهلة بسيطة...

وبما أن الدنيا دار اختبار وابتلاء، فمن السنن الكونية أن يلاقي الإنسان فيها من الشدائد والأهوال في كافة جوانب حياته، سواء المرتبطة بمعتقده أو الجوانب الأخرى التي أشرنا إليها آنفاً، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لايُفْتَنُونَ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ﴾[3].

ورأفة بهذا الإنسان وبلطف من الباري جل وعلا، زود الإنسان بوسائل المعرفة لكي ينظم شؤونه؛ لأنه بطبيعة الحال ضعيف محتاج إلى من يكمل حياته، ويعطيها الدفع المعنوي، لأجل الوصول إلى الغاية المنشودة.

---

[1] سورة الروم: ٣٠.

[2] عدة الداعي: ص٣٣٢ خاتمة الكتاب.

[3] سورة العنكبوت: ٣.٢.

وعند التعارض بين ما أمر الله به أو ما يحكم به العقل والوجدان السليم، وبين ما يأمر به الشيطان أتباعه، تبدأ المشكلات والمعاناة التي تجر وتؤدي إلى كل ما في هذه الحياة من مآسي وويلات. ولقد عانى الأنبياء والرسل □ من أغلب هذه المآسي والتي جرّت عليهم الحرمان والقتل والتشريد من الأوطان لأجل أداء رسالة السماء التي كلفوا بها. ولأن هناك وحدة في الهدف والغاية التي تتمثل في طاعة الله، وإصلاح الناس، وهداية المنحرفين منهم، ومجابهة الطغاة والظالمين، فإنه تتعدد الأدوار بحسب المرحلة الزمنية.

ومن هنا نعلم عظمة معاناة الرسول الأعظم □ والدور المثالي الذي لا يمكن للقلم مهما أسهب في وصف تلك المعاناة، فإنه لايمكن أن نعطي الرسول الأعظم □ حقه وأن نوضح حقيقة تلك المعاناة التي مر بها عنصره الأقدس، في فترة زمنية قد أطبق الجهل على أهلها من كل صوب، حيث كان الطغاة يستخفّون بالضعفاء من الناس ويستغلونهم، لتمرير مآربهم وإشباع رغباتهم عن طريق الإرهاب، وتجنيد السذج منهم.

لذلك عانى رسول الله □ عند إرساء تعاليم الإسلام خلال مراحله الأولى وفترة ولادته وانبثاقه، أشد ألوان الاضطهاد والتعسف، ولكن بقوة الإيمان وإرادة صاحب هذه الرسالة السمحاء □ وبصبره الكبير استطاع أن يروض وحشية دعاة الجاهلية وهمجيتها وقادتها. وكان من أسمى دعائم هذا الجهاد هو ذلك الخُلق العظيم الذي تمتع به خير خلق الله □، فدخلت تلك الأمم في دين الله جل شأنه أفواجاً أفواجا من كل حدب وصوب.

ويعلمنا الرسول الأعظم □ أبلغ الدروس والعبر في أن من يسلك منهج الحق وصراط الهداية عليه تحمل الصعاب والشدائد؛ ولابد من سلوكها والصبر عليها؛ لأن النتيجة بالتالي تكون للمصلحين الصابرين مهما كانت قساوة الطريق وصعوبة المسير.

فإنه لابد أن تبزغ شمس الهداية على هذه المعمورة، وهي النتيجة الحتمية لِجَلدِ الدعاة إلى الله والسائرين نحوه، والمريدين ظله تعالى شأنه، فهذا أمير المؤمنين □ يخوض غمار الصعاب والذي لم يهن ولم يستسلم أبداً، فهو يعطينا أروع الدروس في التضحية، ويبين لنا بأفعاله العظيمة وأقواله الشريفة أن طريق الحق صعبٌ مستصعبٌ ولابد من سلوكه؛ لأنه غاية الشرفاء من أبناء البشر... ويعلمنا أن لا نسمح لليأس أن يدب إلى نفوسنا وتفكيرنا عندما يكون الإنسان مدافعاً عن قضية نبيلة وشريفة، بل لابد من الاستمرار والمثابرة من أجل الحصول

على النتائج الطيبة.

فالمسلمون الأوائل عانوا ما عانوا من المصاعب والشدائد، ولكن بصبر وحكمة صاحب الرسالة □ وبسالتهم ثبت الإسلام كدين حق.

ولكن هل تنتهي المحن؟

كلا فمحنة المسلمين استمرت بعد غياب الرسول □ والتحاقه بالرفيق الأعلى جل شأنه، حيث تسلط أئمةُ الجور وخلفاء السوء على رقاب المسلمين، وحكموا في الناس باسم الإسلام، وباسم الخلافة لصاحب الرسالة□ إذ اغتصبت الخلافة من علي أمير المؤمنين □ المنصوب من السماء ومن الرسول ﷺ، وقتل بعض الصحابة وشرد البعض، وكان الحاكم يقرب إليه من يشاء، أو من يكون له صوت إعلامي ودعاية سياسية تثبت ملكه وسلطانه، حتى جاءت الدولة الأموية والدور البشع الذي لعبه رجال السلطة المتلبسون باسم الدين في تدعيم سلطان الحاكم الجائر، وتبرير مواقفه الظالمة ضد الشرفاء من أبناء الأمة، وإعطاء أفعاله صبغة شرعية، كما فعل شُريك القاضي عندما أفتى بجواز قتل الإمام الحسين □ سبط النبي الأعظم □، إلى غير ذلك من الأمثلة والشواهد الكثيرة على المجازر الرهيبة والمعاناة المريرة، التي ارتكبها ملوك وأمراء بني أمية، ومن تلاهم من بني العباس بحق المسلمين، باسم الإسلام وباسم خلافة رسول الله □.

واستمرت معاناة المسلمين إلى يومنا هذا، حيث نرى حال الأمة وقد تسلط عليها الاستعمار العالمي والإمبريالية العالمية، فتنصب عملاءها من الحكام على الشعوب الإسلامية؛ لأجل اضطهادها ونهب خيراتها وإذلال المسلمين، والبعض من الحكام لايدعي أنه يمثل الدين ولا يحكم باسم الإسلام، ولكن البعض منهم ومن أئمة الجور حكموا باسم الإسلام، فأساءوا للإسلام كدين وكمنهج حياة، فإن غير المسلم لما يرى تلك المجازر التي ارتكبوها وتلك الأحكام التي يطلقها أولئك الحكام، ضد أبناء جلدتهم وإخوانهم في العقيدة، وبشاعة ما يقومون به، فإنهم يزعمون بأن هذا الدين دين باطل ودين ظلم وانتهاك حرمات، مع أن الإسلام بريء من ذلك تماماً؛ فإنه دين سماوي جاء من لدن غفور رحيم، رؤوف بالعباد، بواسطة رسول كريم يسمى بصاحب الخلق العظيم، فنرى البعض ممن التبس عليه أمر الإسلام وحقيقته يقول: بأن دين الإسلام قام على السيف؛ فهو لا يرى تأريخ الإسلام إلا من خلال

هؤلاء الخلفاء، أو بالأحرى الملوك من بني أمية وبني العباس ومن سار بسيرتهم، ولكنه لو قرأ الفكر الإسلامي من خلال منهج أهل البيت  وسيرتهم الوضاءة، وكيف كانوا يدعون إلى الإسلام الحقيقي الذي أتى به جدهم الرسول الأعظم ويبينون المسائل العالقة في أذهان البشر، ويوجدون لها الحلول، يعرِف عظمة الإسلام ورحابته وأخلاقياته العالية.

وفي هذا الكتاب ـ كما في غيره ـ يبين الإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) بعض تلك المعاناة التي ألمت بالمسلمين، وكيف يمكن إيجاد الحلول لها، ومجابهة أئمة الجور وحكام الظلم، الذين يستغلون الطاقات الإسلامية من أجل مآربهم وخدمة أسيادهم من المستعمرين.

ونظراً لما نشعر به من مسؤولية كبيرة في نشر مفاهيم الإسلام الأصيلة قمنا بطبع ونشر هذه السلسلة القيمة من المحاضرات الإسلامية ـ التي منها هذا الكتاب ـ لسماحة المرجع الراحل P والتي ألقاها في فترة زمنية قد تتجاوز الأربعة عقود من الزمن في العراق والكويت وإيران..

نرجو من المولى العلي القدير أن يوفقنا لطبع ونشر ما يتواجد منها، وأملاً بالسعي من أجل تحصيل المفقود منها وإخراجه إلى النور، لنتمكن من نشر سلسلة إسلامية كاملة ومختصرة تنقل إلى الأمة وجهة نظر الإسلام، تجاه مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية الحيوية بأسلوب واضح وبسيط.. إنه سميع مجيب.

**مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر**

**بيروت لبنان ص.ب: ٥٩٥٥/ ١٣**

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

## الإسلام وأزمة العاملين له

جاء في الحديث الشريف: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء»[٤].

لقد بدأ الإسلام يتنفس أنفاسه الأولى يوم ولد على يد الرسول الأعظم □ غريباً، ففي بداية الأمر لم يكن المؤمنين بهذا الدين الجديد سوى الرسول الأعظم □ والسيدة خديجة □ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب □.

فقد ورد عن ابن عباس قال: أول من آمن برسول الله □ من الرجال علي □، ومن النساء خديجة □[٥].

وعن أبي عبد الله □ قال: «اكتتم رسول الله □ بمكة مختفياً خائفاً خمس سنين ليس يظهر أمره، وعلي □ اكتتم معه وخديجة□ ثم أمره الله أن يصدع بما أمر به، فظهر رسول الله □ وأظهر أمره».[٦]

وروي عن أبي عبد الله □ ـ أيضاً ـ قال: «مكث رسول الله□ بمكة بعد ما جاءه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشرة سنة، منها ثلاث سنين مختفياً خائفاً لا يظهر، حتى أمره الله أن يصدع بما أمر به فأظهر حينئذ الدعوة»[٧].

ثم بدأ الأفراد بالتفاعل مع هؤلاء الأطهار والدخول إلى الإسلام.

---

(٤) بحار الأنوار: ج٥٢ ص١٩١ ب٢٥ ح٢٣.

[٥] أمالي الطوسي: ص٢٥٩ المجلس١٠ ح٥.

[٦] بحار الأنوار: ج١٨ ص١٧٦ ب١ ح٢.

[٧] بحار الأنوار: ج١٨ ص١٧٧ ب١ ح٤.

فالدعوة إذن مكية ـ نسبة إلى مكة ـ النشوء، والذين دخلوا إلى الإسلام كانوا مكيّين، ولكنهم كانوا غرباء في مدينتهم وبين أهليهم حيث كانوا مهدَّدين بالقتل والاضطهاد والكره والعداوة من قبل طواغيت قريش وأعوانهم.

فكانت ـ في البداية ـ مظاهر التخفّي والسريّة غالبة على أتباع الرسول الأعظم □؛ وبما أن الإسلام رفض الشرك وعبادة الأصنام؛ لذلك جوبه بأنواع عديدة من الأساليب الوحشية التي لاتعرف الرحمة. وهكذا بدأت المعركة بين المسلمين من جانب والكفّار والمنافقين من جانب آخر. ولكن الحق دائماً يعلو ولا يُعلى عليه، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيا﴾[٨].

وقال الرسول الأعظم □: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»[٩].

فوصل الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، وظلّ كصخرة صمّاء تتكسر عليها معاول الطغاة إلى أن رحل صاحب الرسالة إلى الرفيق الأعلى، وبموته بدأ البعض باقتناص الفرص، وتبديل معالم ومفاهيم الإسلام.

## خلفاء الجور

لقد واجه الإسلام مشكلتين كبيرتين منذ رحلة الرسول الأكرم□ وإلى يومنا هذا، وعلى الذين يريدون عودة الإسلام ثانية إلى حياة المسلمين أن يرفعوا هاتين المعضلتين من البلاد الإسلامية.

المشكلة الأولى: هي خلفاء الجور، أو الحكام الظالمون الذين تسلَّطوا على رقاب المسلمين وبلادهم بمساعدة الأيادي الاستعمارية، ولهؤلاء الحكام من مظاهر الاستبداد والطغيان ما شمل كل مظاهر الحياة في البلاد الإسلامية، مضافاً إلى ذلك استئثارهم بثروات وأموال الشعوب، وهتك أعراض الناس وسفك دمائهم.

وهؤلاء الحكام على قسمين:

---

(٨) سورة التوبة: ٤٠.

(٩) بحار الأنوار: ج٣٩ ص٤٤ ب٧٣ ح١٥.

القسم الأول: الحكام الذين يتصورون ويصورون أنفسهم خلفاء لرسول الله □، وهم يعرّفون الإسلام إلى الآخرين وفق ما يشتهون؛ لذا لابد من فضح مثل هؤلاء الحكام الظالمين، فالحكومة التي تدّعي الحرية والديمقراطية دون أن تطبق شيئاً من الحرية في تفاعلها مع الشعب يلزم فضحها. حتى لا يتصور بعض الناس بأن الحرية هي هذه وحسب، أي إنها تعني الاستبداد والدكتاتورية المعمول بها في أغلب البلاد الإسلامية والمبطنة بشعارات وتطبيقات ما أنزل الله بها من سلطان.

من هنا كان على المسلمين الذين يريدون عودة نور الإسلام الساطع إلى حياة المسلمين مرة أخرى أن يُفشوا وينشروا حقيقة هؤلاء الحكام الظالمين وإعلام العالم كلّه بأنهم لا يمثلون المسلمين، ولا يطبقون شيئاً من الإسلام الحقيقي أبداً، وهؤلاء ليسوا إلاّ عصابات قفزت على كرسي الحكم. ويتم تمويه الأمور عبر الدعاية والإعلام المغرض وعبر تأليف الكتب وطبع الكثير منها ونشرها في كافة مناطق العالم أو عبر بعض المشاريع الخيرية التي يغلب عليها الطابع الدعائي وباطنها هدام(١٠).

والقسم الثاني: هم الحكام الذين عملوا وما زالوا يعملون على محو الإسلام وإخماد ذكر الرسول الأعظم وأهل بيته □، وهم متكاتفون مع الغرب والشرق من أجل تشويه الإسلام، وإثارة الشكوك حول صاحب الرسالة وحول التشريع الإسلامي، وإثارة الشبهات حول الإسلام ورجاله المخلصين.

وهذا الأمر لم يغب عن بال الرسول الأعظم □؛ ولذلك نراه كان يركز على مسألة الولاية من بعده وقيادة الأمة الإسلامية، فكان يكرّر ويقول □: «فإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»(١١).

وورد عن أبي جعفر □ قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاس بِإِمَامِهِم﴾(١٢)

---

(١٠) كما هو الحاصل في بعض البلاد الإسلامية التي تدّعي الولاية على المسلمين ووجوب طاعة كل المسلمين لهم وتسن القوانين وتشرع التشريعات التي ما أنزل الله بها من سلطان وتنسبها إلى الإسلام.

(١١) معاني الأخبار: ص٩٠ باب معنى الثقلين ح٢.

(١٢) سورة الإسراء: ٧١.

قال المسلمون: يا رسول الله، ألست إمام الناس كلهم أجمعين؟

قال: فقال رسول الله □: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس، فيُكذَّبون، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتبعهم وصدَّقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريء»(١٣).

وهؤلاء الحكام الظلمة بقسمَيْهم لم يطبقوا شيئاً مما أمر به الرسول □ أبداً؛ لهذا دخل المسلمون بسبب انحراف قياداتهم في متاهات كثيرة، وضلالات واضحة في العقيدة.

فنرى الكثير من المسلمين اليوم يعتقدون بخلافة يزيد بن معاوية، والوليد بن عبد الملك بن مروان، وهارون العباسي، والمأمون العباسي، وغيرهم من خلفاء الجور(١٤) ويتصورون بأنهم

---

(١٣) الكافي: ج١ ص٢١٦ باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار ح١.

(١٤) كل واحد من هؤلاء هو علم من أعلام الطغاة الذين ابتلت بهم الأمة الإسلامية، ولهم تاريخ أسود في الظلم والاضطهاد والانحراف عن الشريعة المقدسة التي كانوا يدعون الحكم بها، والحال هم أبعد الناس عن تطبيقها، ولكل منهم علامة فارقة في الإجرام من خلال أعظم جرم ارتكبوه خلال تسلطهم على رقاب المسلمين.

فهذا يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، صاحب التاريخ الأسود والسيرة البشعة، المليئة بالفسق والفجور، بشهادة أرباب السير والتاريخ، لم يكفه كل ذلك حتى ارتكب أبشع جريمة في تاريخ الإنسانية على الإطلاق، حينما قتل سيد شباب أهل الجنة وسبط الرسول الأعظم □ الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب □ وسبى ذراري رسول الله □ وأهل بيته. وهذا الوليد بن عبد الملك بن مروان فهو الذي قتل سيد الساجدين وزين العابدين الإمام علي بن الحسين □ هذا غير ما ارتكب من ظلم وانتهاك للشريعة المقدسة. أما هارون العباسي صاحب الليالي الحمراء وقد ازدهر في عصره الغناء والطرب والتجاهر بهما حتى عد من العلامات الفارقة لعاصمة ملكه، وأضاف إلى ذلك جريمة قتل الإمام الكاظم □ بعدما أذاقه عذاب السجن سنين عديدة، والانتقال به من سجن إلى سجن، حتى قتله على يد جلاده السندي بن شاهك (عليه اللعنة)، أما ابنه المدعو بالمأمون فهو لم يكن بأقل خبثا ودهاءً ومكراً من أسلافه، حيث كان بطل مسرحية إجبار الإمام الرضا □ في قضية ولاية العهد التي لم تنطلِ على المطلعين، حتى أنه ما تورع عن سم الإمام الذي كان على بصيرة تامة من كل دسائسه ومخططاته. نعم، بأمثال هؤلاء ابتلت أمة محمد □ وكل منهم يسمي

خلفاء شرعيّون.

جاء عن رسول الله □ أنه قال: «من حكم في الدرهمين بحكم جور ثم أجبر عليه كان من أهل هذه الآية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(١٥)».

قلت: فكيف يجبر عليه؟

قال: «يكون له سوط و سجن فيحكم عليه، فإن رضي بحكومته، وإلا ضربه بسوطه وحبسه في سجنه»(١٦).

وعن سعيد بن أبي الخضيب البجلي قال: كنت مع ابن أبي ليلى مزامله حتى جئنا إلى المدينة، فبينا نحن في مسجد الرسول□ إذ دخل جعفر بن محمد □ فقلت لابن أبي ليلى: تقوم بنا إليه؟

فقال: وما نصنع عنده؟

فقلت: نسائله ونحدثه.

فقال: قم.

فقمنا إليه، فساءلني عن نفسي وأهلي، ثم قال: «من هذا معك؟».

فقلت: ابن أبي ليلى قاضي المسلمين.

فقال له: «أنت ابن أبي ليلى قاضي المسلمين؟».

قال: نعم.

قال: «تأخذ مال هذا فتعطيه هذا، وتقتل، وتفرق بين المرء وزوجه، لا تخاف في ذلك أحداً؟».

قال: نعم.

قال: «فبأي شيء تقضي؟».

قال: بما بلغني عن رسول الله □ وعن علي □ وعن أبي بكر وعمر.

---

نفسه أمير المؤمنين، وكان الأليق بهم لقب أمراء الظالمين والفاسقين والمحرفين لشريعة سيد المرسلين، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١٥) سورة المائدة: ٤٤.

(١٦) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٢٢٢ ب٨٧ ح١٦.

قال: «فبلغك عن رسول الله □ أنه قال: إن علياً □ أقضاكم؟».

قال: نعم.

قال: «فكيف تقضي بغير قضاء علي □ وقد بلغك هذا، فما تقول إذا جيء بأرض من فضة وسماء من فضة، ثم أخذ رسول الله□ بيدك فأوقفك بين يدي ربك فقال: يا رب، إن هذا قضى بغير ما قضيت؟».

قال: فاصفر وجه ابن أبي ليلى حتى عاد مثل الزعفران، ثم قال لي: التمس لنفسك زميلا، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً [١٧].

نعم، إن الانحرافات والضلالات إنّما جاءت نتيجة بذر الأفكار الضالة في المجتمع من قبل الحكام الظالمين، وتحريف أقوال الرسول والمعصومين □. وليت الأمر قد توقف عند هذا الحد، ولم يتعدَّه إلى أصول الدين والأمور الخطيرة في العقيدة، فنرى البعض يتصور بأن الله سبحانه وتعالى جسم، أو ظالم (والعياذ بالله)[١٨]، مما حدا ببعض علمائنا رضوان الله عليهم بمواجهة مثل هذه الانحرافات والضلالات، أمثال المحقق الطوسي[١٩] ..

وشيخ الطائفة[٢٠] والعلامة الحلي[٢١] وغيرهم (رحمة الله عليهم) قولاً وفعلاً.

---

(١٧) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٢٢١ ب٨٧ ح١٣.

(١٨) التجسيم أو المجسمة: لفظ أطلق على من يأخذ بظاهر ساذج للآيات القرآنية الشريفة، من دون تعمق وفهم؛ فقالوا أن له تبارك وتعالى يداً ورجلاً وعيناً، فجعلوا لله جسماً، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد قامت الأدلة العقلية والنقلية على بطلان هذا الرأي، ونفي التجسيم عنه تبارك وتعالى.

(١٩) هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل، محمد بن محمد بن الحسن الطوسي قدس سره صاحب كتاب تجريد العقائد، وكتاب التذكرة النصيرية، وكتاب تحرير أقليدس وتحرير المجسطي وشرح الإشارات والفصول النصيرية والفرائض النصيرية والأخلاق الناصرية وكثير غيرها، ولد قدس سره بمشهد طوس في سنة (٥٩٧هـ)، وتوفي في سنة (٦٧٢هـ) ودفن في مقابر قريش في الكاظمية. انظر روضات الجنات: ج٦ ص٣٠٠ باب ما أوله الميم.

(٢٠) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، شيخ الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة عين صدوق، عارف بالأخبار والرجال، والفقه والأصول، والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه. ولد في شهر رمضان سنة (٣٨٥هـ) وتوفي □ في شهر محرم سنة (٤٦٠هـ) ودفن بالمشهد

## ترك القوانين الإلهية

المشكلة الثانية: وهي متفرِّعة عن المشكلة الأولى؛ إذ أن حكام الجور هم الذين مهدوا لها، هي مشكلة سن القوانين الغربية والاستعمارية وتطبيقها في كافة مجالات الحياة. وقد جاءت هذه القوانين إلى المسلمين بعد احتلال البلاد الإسلامية وغزوها عسكرياً وفكرياً، وبقاء المستعمر فيها سنين طويلة، ثم وَضْعِه للعُمَلاء من بعد خروجه منها.

كل هذه الأمور أدّت إلى تلاشي وضياع القوانين والأحكام الإسلامية وهكذا ضاعت النداءات التي يصرّح بها القرآن الكريم دوماً في سبيل بناء الأمة الإسلامية الواحدة، وغرس الأخوة الإسلامية، ومن أجل تحقق الحرية الإسلامية في المجتمع وعمارة الأرض، وغيرها من الأحكام التي بيّناها في كتبنا(٢٢).

وإذا ما نظر الآخرون إلى ديننا، وهو بهذه الصورة التي رسمها الحكام الجائرون وعملاء المستعمرين، وبهذه الصورة الخالية من المحتوى والمضمون والمملوءة بالجور والاستبداد والدكتاتورية. فهم يرون أن الكفر الذي عندهم أفضل من الدين الذي عندنا؛ فالحرية والأخوة الموجودة في البلاد الغربية أكثر بكثير من الحرية الموجودة في البلاد الإسلامية التي انسلخت عن حقيقة الإسلام، وهكذا الوحدة والرأفة والشفقة الموجودة فيما بينهم أكثر من الرأفة والرحمة الموجودة لدينا، لقد أدت هذه الظاهرة إلى تأخر الأمة الإسلامية، فإن بروز هاتين المشكلتين الكبيرتين وقف بوجه انتشار الإسلام وهما كما أشرنا سابقاً:

---

الغروي المقدس، له □ مؤلفات كثيرة منها: المجالس المشتهر بالأمالي، الغيبة، المصباح الكبير، المصباح الصغير، الخلاف، المبسوط، الفهرست، الرجال، وغيرها. انظر روضات الجنات: ج٦ ص٢١٦ باب ما أوله الميم.

(٢١) العلامة الحلي (٦٤٨- ٧٢٦هـ) هو الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، ويعرف بالعلامة، من كبار علماء الشيعة، نسبته إلى مدينة الحلة في العراق وفيها مولده ومسكنه ومدفنه، له كتب كثيرة منها: تبصرة المتعلمين في أحكام الدين، وتهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول، والأحكام في معرفة الحلال والحرام، ومختلف الشيعة في أحكام الشريعة، وأنوار الملكوت في شرح الياقوت. انظر روضات الجنات: ج٢ ص٢٦٨ بالرقم (١٩٨)، والأعلام للزركلي: ج٢ ص٢٢٧.

(٢٢) راجع كتاب (الصياغة الجديدة) و(السبيل إلى إنهاض المسلمين) و(ممارسة التغيير) وغيرها من المؤلفات القيمة للإمام المجدد الثاني (أعلى الله درجاته).

١ ـ سيطرة خلفاء السوء وحكام الجور في المجتمعات الإسلامية.

٢ ـ تطبيق القوانين الغربية في البلاد الإسلامية المخالفة للموازين والأحكام الإلهية.

ولن ترتفع هاتان المشكلتان عن كاهل المسلمين وبلادهم، إلاّ بهمة رجال مخلصين، عاملين للإسلام والمسلمين بكل إخلاص وتفان، انطلاقاً من شعورهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم.

فالإسلام لا يعاني من أزمة في الأفكار أو المفاهيم أو التشريع، بل من أزمة المخلصين الذين يدافعون عن حريمه بكل صدق، ولانعني أن الساحة قد خلت منهم، ولكن نسبة العاملين المخلصين للإسلام مقارنة مع الاتجاهات الإلحادية والمشركة وإعلامهم وإضلالهم تعتبر أقل بكثير، والمطلوب مضاعفة الكم والكيف. ولعل القسم الأكبر من ذلك يقع على عاتق طلبة الحوزات العلمية والعلماء والمفكرين والكتّاب؛ إذ أنهم الحصن الحصين للدفاع عن ثغور الإسلام ومبادئه، ومن ثم يأتي دور سائر الناس وباقي أفراد المجتمع؛ لأنّهم أيضاً مسؤولون عن الرسالة المحمدية.

ولذا ورد في الحديث الشريف عن الرسول الأعظم □: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو المسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في مال أبيه راع وهو مسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(٢٣).

وبذلك يخرج الإسلام من الغربة التي هو فيها الآن. فالمطلوب أن تصل كل مبادئ الإسلام إلى كل إنسان في العالم، وفي حالة عدم تحقق ذلك فإن الإسلام يبقى غريباً، كما في الحديث الشريف ـ المذكور سابقاً ..

---

(٢٣) غوالي اللآلي: ج١ ص١٢٩ الفصل٨ ح٣.

## العمل الإسلامي

قال الإمام الباقر □: «لا شرف كبعد الهمة»(٢٤).

وقال الإمام الصادق □: «إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين»(٢٥).

إن الإسلام يؤكد دائماً على العمل والإخلاص فيه وبعد الهمة. فعلى العاملين للإسلام، ومن أجل إعادة المجتمعات الإسلامية إلى التمسك بدينها وحمل مبادئه، أن يلتفتوا إلى هذه النقطة المهمة، وطالما أكد عليها النبي الأكرم □ وحث المسلمين على عدم اليأس، وعدم التوقف؛ فالإسلام دائماً وأبداً يؤمن بالحركة، ويؤكد على العناصر الفعّالة؛ لذلك فهو يعتبر العمل عبادة، لأن العلم يعني تقدّم عجلة المجتمع الإسلامي، وبالتالي تكون الفائدة لكافة البشر.

فقد قال أمير المؤمنين □: «أيها الناس، اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال؛ إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه»(٢٦).

وقال أبو عبد الله الصادق□: «العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه»(٢٧).

والرسول الأكرم □ في اللحظات الحرجة الصعبة كان يؤكد على المسلمين بعدم اليأس، ويبعث فيهم روح الأمل والنصر، فنراه في موقف الأحزاب وقد أحاطه الأعداء وتكاتفوا عليه، وحاول بعض المسلمين الهروب من الساحة، حيث قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما

---

(٢٤) تحف العقول: ص٢٨٦ وصيته □ لجابر بن يزيد الجعفي.

(٢٥) الكافي: ج٢ ص٥٨ باب فضل اليقين ح٣.

(٢٦) الكافي: ج١ ص٣٠ باب فرض العلم ووجوب طلبه ح٤.

(٢٧) الكافي: ج١ ص٤٤ باب استعمال العلم ح٢.

هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾[٢٨]. وبعض آخر منهم حاول أن يجد طريقاً للتوسل إلى المشركين، والحصول منهم على أمان خاص له[٢٩]، إضافة إلى الظروف المناخيّة القاسية التي كانوا يمرون بها... والحالة النفسية التي يمر بها الجيش الإسلامي، إلى درجة أن عمرو بن عبد ود العامري عندما دعا المسلمين إلى البراز لم يجبه أحد، وتراجع الجميع إلاّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب □، مع كل ذلك نرى أن الرسول الأكرم □ كان يبشرهم بالفتوحات العظيمة كفتح بلاد كسرى وبلاد الروم[٣٠]، ليرفع من الروح المعنويّة فيهم، وليهدم الحاجز النفسي الذي لفّهم باليأس والخيبة.

## قصة الأحزاب

روي أن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ۞ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ۞ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَ غُرُوراً﴾[٣١] نزل في قصة الأحزاب من قريش والعرب، الذين تحزبوا على رسول الله □، وذلك أن قريشاً تجمعت في سنة خمس من الهجرة وساروا في العرب وجلبوا، واستفزوهم لحرب رسول الله □ فوافوا في عشرة آلاف، ومعهم كنانة وسليم وفزارة، وكان رسول الله □ حين أجلى بني النضير وهم بطن من اليهود من المدينة وكان رئيسهم حيي بن أخطب، وهم يهود من بني هارون □ فلما أجلاهم من المدينة صاروا إلى خيبر وخرج حيي بن أخطب وهم إلى قريش بمكة، وقال لهم: إن محمداً قد وتركم ووترنا، وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا، وأجلى بني عمنا بني قينقاع، فسيروا في الأرض واجمعوا حلفاءكم

(٢٨) سورة الأحزاب: ١٣.

(٢٩) انظر تفسير القمي: ج٢ ص١٨٨ سورة الأحزاب، وفيه: ونزلت هذه الآية في فلان لما قال لعبد الرحمن بن عوف: هلم ندفع محمداً إلى قريش ونلحق نحن بقومنا.

(٣٠) انظر بحار الأنوار: ج٢٠ ص١٨٩ ب١٧.

(٣١) سورة الأحزاب: ٩ ـ ١٢.

وغيرهم، حتى نسير إليهم؛ فإنه قد بقي من قومي بيثرب سبعمائة مقاتل وهم بنو قريظة، وبينهم وبين محمد عهد وميثاق، وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد □ ويكونون معنا عليهم، فتأتونه أنتم من فوق، وهم من أسفل.

وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين، وهو الموضع الذي يسمى بئر المطلب، فلم يزل يسير معهم حيي بن أخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة، والأقرع بن حابس في قومه، وعباس بن مرداس في بني سليم، فبلغ ذلك رسول الله □ فاستشار أصحابه وكانوا سبعمائة رجل، فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله، إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة.

قال: «فما نصنع؟».

قال: نحفر خندقا يكون بيننا وبينهم حجابا فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه؛ فإنا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق، فيكون الحرب من مواضع معروفة.

فنزل جبرئيل □ على رسول الله □ فقال: «أشار سلمان بصواب».

فأمر رسول الله □ بحفره من ناحية أحد إلى رائح، وجعل على كل عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوما من المهاجرين والأنصار يحفرونه، فأمر فحملت المساحي والمعاول، وبدأ رسول الله □ وأخذ معولا فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، وأمير المؤمنين □ ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله □ وعيي، وقال: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين».

فلما نظر الناس إلى رسول الله □ يحفر اجتهدوا في الحفر ونقلوا التراب، فلما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر، وقعد رسول الله □ في مسجد الفتح، فبينا المهاجرون والأنصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم تعمل المعاول فيه، فبعثوا جابر بن عبد الله الأنصاري إلى رسول الله □ يعلمه بذلك، قال جابر: فجئت إلى المسجد ورسول الله مستلق على قفاه ورداؤه تحت رأسه، وقد شد على بطنه حجراً، فقلت: يا رسول الله، إنه قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه.

فقام مسرعا حتى جاءه، ثم دعا بماء في إناء، فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه، ثم شرب ومج من ذلك الماء في فيه ثم صبه على الحجر، ثم أخذ معولاً فضرب

ضربة، فبرقت برقة، فنظرنا فيها إلى قصور الشام، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة، نظرنا فيها إلى قصور المدائن، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة أخرى نظرنا فيها إلى قصور اليمن.

فقال رسول الله □: «أما إنه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق» ثم انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل.

فقال جابر: فعلمت أن رسول الله مقوي، أي جائع؛ لما رأيت على بطنه الحجر، فقلت: يا رسول الله، هل لك في الغذاء؟

قال: «ما عندك يا جابر؟».

فقلت: عناق وصاع من شعير.

فقال: «تقدم وأصلح ما عندك».

قال: فجئت إلى أهلي، فأمرتها فطحنت الشعير وذبحت العنز وسلختها، وأمرتها أن تخبز وتطبخ وتشوي، فلما فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله □ فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قد فرغنا فاحضر مع من أحببت.

فقام □ إلى شفير الخندق ثم قال: «معاشر المهاجرين والأنصار، أجيبوا جابراً».

قال جابر: وكان في الخندق سبعمائة رجل فخرجوا كلهم، ثم لم يمر بأحد من المهاجرين والأنصار إلا قال: «أجيبوا جابراً».

قال جابر: فتقدمت وقلت لأهلي: والله قد أتاك محمد رسول الله □ بما لا قبل لك به.

فقالت: أعلمته أنت بما عندنا؟

قال: نعم.

قالت: هو أعلم بما أتى.

قال جابر: فدخل رسول الله □ فنظر في القدر، ثم قال: «اغرفي وأبقي»، ثم نظر في التنور، ثم قال: «أخرجي وأبقي» ثم دعا بصحنة فثرد فيها وغرف، فقال: «يا جابر، أدخل علي عشرة».

فأدخلت عشرة فأكلوا حتى نهلوا وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم.

ثم قال: «يا جابر، علي بالذراع»، فأتيته بالذراع فأكلوه.

ثم قال: «أدخل علي عشرة» فدخلوا فأكلوا حتى نهلوا وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم.

ثم قال: «عليَّ بالذراع»، فأكلوا وخرجوا.

ثم قال: «أدخل علي عشرة»، فأدخلتهم فأكلوا حتى نهلوا ولم ير في القصعة إلا آثار أصابعهم.

ثم قال: «يا جابر، علي بالذراع» فأتيته، فقلت: يا رسول الله، كم للشاة من ذراع؟

قال: «ذراعان».

فقلت: والذي بعثك بالحق نبيا لقد أتيتك بثلاثة!؟

فقال: «أما لو سكت يا جابر لأكلوا الناس كلهم من الذراع».

قال جابر: فأقبلت أدخل عشرة عشرة، فدخلوا فيأكلون حتى أكلوا كلهم وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياما.

قال: وحفر رسول الله □ الخندق وجعل له ثمانية أبواب، وجعل على كل باب رجلا من المهاجرين ورجلا من الأنصار مع جماعة يحفظونه، وقدمت قريش وكنانة وسليم و هلال فنزلوا الرغابة.

ففرغ رسول الله □ من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، فأقبلت قريش ومعهم حيي بن أخطب فلما نزلوا العقيق جاء حيي بن أخطب إلى بني قريظة في جوف الليل، وكانوا في حصنهم قد تمسكوا بعهد رسول الله □، ـ إلى أن قال ـ فقال ـ أي حيي بن أخطب ـ: ويلك يا كعب، انقض العهد الذي بينك وبين محمد ولاترد رأيي؛ فإن محمداً لا يفلت من هذا الجمع أبداً، فإن فاتك هذا الوقت لا تدرك مثله أبداً.

قال: واجتمع كل من كان في الحصن من رؤساء اليهود، مثل: غزال بن شمول وياسر بن قيس ورفاعة بن زيد والزبير بن ياطا، فقال لهم كعب: ما ترون؟

قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا وأنت صاحب عهدنا، فإن نقضت نقضنا وإن أقمت أقمنا معك، وإن خرجت خرجنا معك.

فقال الزبير بن ياطا، وكان شيخا كبيرا مجربا قد ذهب بصره: قد قرأت التوراة التي أنزلها الله في سفرنا، بأنه يبعث نبيا في آخر الزمان يكون مخرجه بمكة، ومهاجرته بالمدينة إلى البحيرة، يركب الحمار العربي ويلبس الشملة، ويجتزي بالكسيرات والتميرات، وهو الضحوك القتال، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه، لا يبالي من لاقاه، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، فإن كان هذا هو فلا يهولنه هؤلاء وجمعهم، ولو ناوته

هذه الجبال الرواسي لغلبها.

فقال حيي: ليس هذا ذلك، وذلك النبي من بني إسرائيل وهذا من العرب من ولد إسماعيل، ولا يكون بنو إسرائيل أتباعا لولد إسماعيل أبداً؛ لأن الله قد فضلهم على الناس جميعاً وجعل منهم النبوة والملك، وقد عهد إلينا موسى ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، وليس مع محمد آية، وإنما جمعهم جمعاً وسحرهم، ويريد أن يغلبهم بذلك، فلم يزل يقلبهم عن رأيهم حتى أجابوه، فقال لهم: أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمد، فأخرجوه فأخذه حيي بن أخطب ومزقه، وقال: قد وقع الأمر، فتجهزوا وتهيئوا للقتال.

وبلغ رسول الله □ ذلك فغمه غما شديداً وفزع أصحابه، فقال رسول الله □ لسعد بن معاذ وأسيد بن حصين، وكانا من الأوس، وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس، فقال لهما: «ائتيا بني قريظة فانظروا ما صنعوا، فإن كانوا نقضوا العهد فلا تعلما أحداً إذا رجعتما إلي، وقولا عضل والفارة».

فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حصين إلى باب الحصن، فأشرف عليهما كعب من الحصن فشتم سعداً وشتم رسول الله□ فقال له سعد: إنما أنت ثعلب في جحر، لنولين قريشاً وليحاصرنك رسول الله □ ولينزلنك على الصغر والقماع وليضربن عنقك.

ثم رجعا إلى رسول الله □ فقالا: عضل والفارة.

فقال رسول الله □: «لعناء، نحن أمرناهم بذلك» وذلك أنه كان على عهد رسول الله □ عيون لقريش يتجسسون خبره، وكانت عضل والفارة قبيلتان من العرب دخلا في الإسلام، ثم غدرا، فكان إذا غدر أحد ضرب بهذا المثل، فيقال: عضل والفارة.

ورجع حيي بن أخطب إلى أبي سفيان وقريش فأخبرهم بنقض بني قريظة العهد بينهم وبين رسول الله □ ففرحت قريش بذلك، فلما كان في جوف الليل جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله □ وقد كان أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، فقال: يارسول الله، قد آمنت بالله وصدقتك وكتمت إيماني عن الكفرة، فإن أمرتني أن آتيك بنفسي وأنصرك بنفسي فعلت، وإن أمرت أن أخذِّل بين اليهود وبين قريش فعلت؛ حتى لا يخرجوا من حصنهم؟

فقال رسول الله □: «اخذل بين اليهود وقريش، فإنه أوقع عندي».

قال: فتأذن لي أن أقول فيك ما أريد؟

قال: «قل ما بدا لك».

فجاء إلى أبي سفيان فقال له: تعرف مودتي لكم ونصحي ومحبتي أن ينصركم الله على عدوكم، وقد بلغني أن محمداً قد وافق اليهود، أن يدخلوا بين عسكركم ويميلوا عليكم، ووعدهم إذا فعلوا ذلك أن يرد عليهم جناحهم الذي قطعه لبني النضير وقينقاع، فلا أرى لكم أن تدعوهم يدخلوا في عسكركم حتى تأخذوا منهم رهناً تبعثوا بهم إلى مكة، فتأمنوا مكرهم وغدرهم.

فقال أبو سفيان: وفقك الله وأحسن جزاك، مثلك أهدى النصائح، ولم يعلم أبو سفيان بإسلام نعيم، ولا أحد من اليهود.

ثم جاء من فوره ذلك إلى بني قريظة فقال: يا كعب، تعلم مودتي لكم، وقد بلغني أن أبا سفيان قال: تخرج هؤلاء اليهود فنضعهم في نحر محمد، فإن ظفروا كان الذكر لنا دونهم، وإن كانت علينا كانوا هؤلاء مقاديم الحرب، فلا أرى لكم أن تدعوهم يدخلوا عسكركم حتى تأخذوا منهم عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم، إنهم إن لم يظفروا بمحمد لم يبرحوا حتى يردوا عليكم عهدكم وعقدكم بين محمد وبينكم؛ لأنه إن ولت قريش ولم يظفروا بمحمد غزاكم محمد فيقتلكم.

فقالوا: أحسنت وأبلغت في النصيحة، لا نخرج من حصننا حتى نأخذ منهم رهنا يكونون في حصننا.

وأقبلت قريش، فلما نظروا إلى الخندق قالوا: هذه مكيدة، ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك!

فقيل لهم: هذا من تدبير الفارسي الذي معه، فوافى عمرو بن عبد ود وهبيرة بن وهب وضرار بن الخطاب إلى الخندق، وكان رسول الله □ قد صف أصحابه بين يديه، فصاحوا بخيلهم حتى طفروا الخندق إلى جانب رسول الله □ فصاروا أصحاب رسول الله □ كلهم خلف رسول الله □ وقدموا رسول الله □ بين أيديهم، وقال رجل من المهاجرين وهو فلان لرجل بجنبه من إخوانه: أما ترى هذا الشيطان عمرو، لا والله ما يفلت من يديه أحد، فهلموا ندفع إليه محمداً ليقتله ونلحق نحن بقومنا، فأنزل الله على نبيه في ذلك الوقت قوله: ﴿قَدْ

يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ والْقائِلِينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا ولا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا ۞أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ . إلى قوله . وكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ (٣٢) وركز عمرو بن عبد ود رمحه في الأرض، وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول:

ولقد بحت من النداء  بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع  مواقف القرن المناجز
إني كذلك لم أزل  متسرعا نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى  والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله □: «من لهذا..؟».

فلم يجبه أحد.

فقام إليه أمير المؤمنين □ وقال: «أنا له يا رسول الله» فقال: «يا علي، هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل».

قال: «أنا علي بن أبي طالب».

فقال رسول الله □: «ادن مني».

فدنا منه، فعممه بيده، ودفع إليه سيفه ذا الفقار، فقال له: «اذهب وقاتل بهذا»، وقال: «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته».

فمر أمير المؤمنين □ يهرول في مشيه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك  مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة  والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم  عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى  صوتها بعد الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟.

قال: «أنا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله □ وختنه».

فقال: والله، إن أباك كان لي صديقاً قديماً، وإني أكره أن أقتلك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إلي أن أختطفك برمحي هذا، فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حي ولا ميت؟

---

(٣٢) سورة الأحزاب: ١٨. ١٩.

فقال له أمير المؤمنين □: «قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلتُ الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة».

فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي، تلك إذا قسمة ضيزى!

قال علي □: «دع هذا يا عمرو، إني سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة، تقول: لا يعرضن علي أحد في الحرب ثلاث خصال إلا أجبته إلى واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى واحدة».

قال: هات يا علي.

قال: «أحدها تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله».

قال: نح عني هذه فاسأل الثانية.

فقال: «أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله □ فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عينا، وإن يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب أمره».

فقال: إذاً لا تتحدث نساء قريش بذلك، ولا تنشد الشعراء في أشعارها أني جبنت ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوما رأسوني عليهم.

فقال أمير المؤمنين □: «فالثالثة أن تنزل إلي فإنك راكب وأنا راجل حتى أنابذك».

فوثب عن فرسه وعرقبه وقال: هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني عليها.

ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين □ بالسيف على رأسه فاتقاه أمير المؤمنين بدرقته فقطعها وثبت السيف على رأسه.

فقال له علي □: «يا عمرو أما كفاك أني بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت علي بظهير». فالتفت عمرو إلى خلفه فضربه أمير المؤمنين □ مسرعا على ساقيه قطعهما جميعا وارتفعت بينهما عجاجة، فقال المنافقون: قتل علي بن أبي طالب□، ثم انكشف العجاجة، فنظروا فإذا أمير المؤمنين □ على صدره قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فذبحه ثم أخذ رأسه، وأقبل إلى رسول الله □ والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم وهو يقول ـ والرأس بيده ـ:

«أنا علـــي وابـــن عبـــد المطلـــب

المـــوت خـــير للفـــتى مـــن الهـــرب»

فقال رسول الله □: «يا علي، ماكرته؟».

قال: «نعم يا رسول الله؛ الحرب خديعة».

وبعث رسول الله □ الزبير إلى هبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وأمر رسول الله □ عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهما، فقال ضرار: ويحك يا ابن صهاك أترميني في مبارزة! والله لئن رميتني لا تركت عدويا بمكة إلا قتلته، فانهزم عنه عمر ومر نحوه ضرار وضربه على رأسه بالقناة، ثم قال: احفظها يا عمر، فإني آليت أن لا أقتل قرشيا ما قدرت عليه، فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولي، فولاه.

فبقي رسول الله □ يحاربهم في الخندق خمسة عشر يوماً إلى أن قال . فلما طال على أصحاب رسول الله □ الأمر واشتد عليهم الحصار، وكانوا في وقت برد شديد وأصابتهم مجاعة وخافوا من اليهود خوفا شديدا، وتكلم المنافقون بما حكى الله عنهم ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا نافق إلا القليل، وقد كان رسول الله □ أخبر أصحابه أن العرب تتحزب ويجيئون من فوق وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وأنه ليصيبهم جهد شديد، ولكن تكون العاقبة لي عليهم، فلما جاءت قريش وغدرت اليهود قال المنافقون: ﴿ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً﴾(٣٣) .

وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة فقالوا: يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا؛ فإنها في أطراف المدينة وهي عورة ونخاف اليهود أن يغيروا عليها؟

وقال قوم: هلموا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب؛ فإن الذي كان يعدنا محمد كان باطلا كله. وكان رسول الله □ أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل، وكان أمير المؤمنين□ على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم، وكان أمير المؤمنين □ يجوز الخندق ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم، فلا يزال الليل كله قائماً وحده يصلي، فإذا أصبح رجع إلى مركزه، ومسجد أمير المؤمنين هناك معروف يأتيه من يعرفه فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشابة، فلما رأى رسول الله □ من أصحابه الجزع لطول الحصار صعد إلى مسجد الفتح وهو الجبل الذي عليه مسجد الفتح اليوم، فدعا الله وناجاه فيما وعده وكان مما دعاه أن قال:

---

(٣٣) سورة الأحزاب: ١٢.

«يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين ويا كاشف الكرب العظيم، أنت مولاي ووليي وولي آبائي الأولين، اكشف عنا غمنا وهمنا وكربنا، واكشف عنا شر هؤلاء القوم بقوتك وحولك وقدرتك».

فنزل عليه جبرئيل فقال: «يا محمد، إن الله قد سمع مقالتك وأجاب دعوتك، وأمر الدبور وهي الريح مع الملائكة أن تهزم قريشا والأحزاب».

وبعث الله على قريش الدبور فانهزموا وقلعت أخبيتهم، ونزل جبرئيل فأخبره بذلك.

فنادى رسول الله □ حذيفة بن اليمان، وكان قريبا منه فلم يجبه، ثم ناداه فلم يجبه، ثم ناداه الثالثة، فقال: لبيك يا رسول الله.

قال: «أدعوك فلا تجيبني؟».

قال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي من الخوف والبرد والجوع.

فقال: «ادخل في القوم وائتني بأخبارهم، ولا تحدثن حدثا حتى ترجع إلي؛ فإن الله قد أخبرني أنه قد أرسل الرياح على قريش فهزمهم».

قال حذيفة: فمضيت وأنا انتفض من البرد، فوالله ما كان إلا بقدر ما جزت الخندق حتى كأني في حمام، فقصدت خباء عظيما فإذا نار تخبو وتوقد، وإذا خيمة فيها أبو سفيان قد دلى خصيتيه على النار وهو ينتفض من شدة البرد، ويقول: يا معشر قريش، إن كنا نقاتل أهل السماء، بزعم محمد، فلا طاقة لنا بأهل السماء، وإن كنا نقاتل أهل الأرض فنقدر عليهم، ثم قال: لينظر كل رجل منكم إلى جليسه لا يكون لمحمد عين فيما بيننا، قال حذيفة: فبادرت أنا فقلت للذي عن يميني: من أنت؟

فقال: أنا عمرو بن العاص.

ثم قلت للذي عن يساري من أنت.

قال: أنا معاوية.

وإنما بادرت إلى ذلك لئلا يسألني أحد من أنت، ثم ركب أبوسفيان راحلته وهي معقولة، ولولا أن رسول الله □ قال: «لاتحدث حدثا حتى ترجع إلي» لقدرت أن أقتله.

ثم قال أبو سفيان لخالد بن الوليد يا أبا سليمان، لابد من أن أقيم أنا وأنت على ضعفاء الناس، ثم قال: ارتحلوا إنا مرتحلون، ففروا منهزمين.

فلما أصبح رسول الله □ قال لأصحابه: «لا تبرحوا»، فلما طلعت الشمس دخلوا

المدينة وبقي رسول الله □ في نفر يسير.

وكان ابن فرقد الكناني رمى سعد بن معاذ رحمه الله بسهم في الخندق فقطع أكحله، فنزفه الدم، فقبض سعد على أكحله بيده، ثم قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها، فلا أجد أحب إلي محاربتهم من قوم حادوا الله ورسوله، وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها بين رسول الله □ وبين قريش فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة، فأمسك الدم وتورمت يده. وضرب رسول الله له في المسجد خيمة وكان يتعاهده بنفسه، فأنزل الله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وجُنُوداً لَمْ تَرَوْها وكانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ومِنْ أَسْفَلَ مِنْكُم﴾ يعني بني قريظة حين غدروا وخافوهم أصحاب رسول الله□ ﴿وإِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ وبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِراراً﴾(٣٤) وهم الذين قالوا لرسول الله□: تأذن لنا نرجع إلى منازلنا؛ فإنها في أطراف المدينة ونخاف اليهود عليها؟

فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِراراً. إلى قوله. وكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾(٣٥) ونزلت هذه الآية في فلان لما قال لعبد الرحمن بن عوف: هلم ندفع محمداً إلى قريش، ونلحق نحن بقومنا.

ثم وصف الله المؤمنين المصدقين بما أخبرهم رسول الله □ ما يصيبهم في الخندق من الجهد، فقال:

﴿ولَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ... وما زادَهُمْ إِلا إِيماناً﴾(٣٦) يعني: ذلك البلاء والجهد والخوف. انتهى.(٣٧)

إذن ، على من يعمل للإسلام أن يتذكر هذه المواقف جيداً ويعتبر بها، ولا يركن إلى اليأس، بل عليه أن لا يعطي لنفسه مجالاً كي يفكر باليأس والتراجع والفشل، وعليه أن يُقدم

---

(٣٤) سورة الأحزاب: ٩ . ١٣.

(٣٥) سورة الأحزاب: ١٣ . ١٤.

(٣٦) سورة الأحزاب: ٢٢.

(٣٧) تفسير القمي: ج٢ ص١٧٦-١٨٨ سورة الأحزاب، وانظر بحار الأنوار: ج٢٠ ص١٨٦ ب١٧ قريبا منه.

متأسياً بأمير المؤمنين □ حينما أحجم القوم وقام بها، حتى قال فيه الرسول الأعظم □: «أبشر يا علي، فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمّد □ لرجح عملك بعملهم وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو»(٣٨).

وروي عن عبد الله بن مسعود قال: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي(٣٩).

وقال رسول الله □ أيضاً: «لضربة علي لعمرو بن عبد ود أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة»(٤٠).

فالعاملون يجب أن يكونوا مصداقاً للآية الشريفة: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾(٤١) أي ثبتوا على المبدأ، واستقاموا من أجل نشره والحفاظ عليه.

فقد روي عن حذيفة بن اليمان قال: لما دعا عمرو إلى المبارزة أحجم المسلمون كافة ما خلا علياً، فإنه برز إليه فقتله الله على يديه، والذي نفس حذيفة بيده، لعمله في ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد إلى يوم القيامة، وكان الفتح في ذلك اليوم على يد علي □، وقال النبي □: «لضربة علي خير من عبادة الثقلين»(٤٢).

---

(٣٨) بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢ ب٧٠ ضمن ح١.

(٣٩) بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢ ب٧٠ ضمن ح١.

(٤٠) بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢ ب٧٠ ضمن ح١.

(٤١) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٤٢) بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢ ب٧٠ ضمن ح١.

## مقارعة الطاغوت

وليعلم العاملون، أن مقارعة الطاغوت ليس بالأمر الهيّن، ولكنها في الوقت نفسه ليست بالأمر المستحيل، غاية الأمر أن مسالة التغلب عليه تتوقف على مجموعة من الأسباب التي يجب أن تكون سابقة على تحقق النصر، وإلاّ فالنصر لا يُعطى لطالبيه بارزاً جاهزاً على طبق من ذهب وفضة.

فالنبي موسى □ قبل أن يخوض الصراع الفعلي مع فرعون أعطاه الله آيتين، العصا ويده البيضاء، لتكونا برهاناً على صدقه، لعل فرعون يرجع عن غيه وعساه أن يذعن للأمر، ولكننا نرى موسى □ مع ذلك يطلب من الله أمراً آخر، وهو السند والوزير، فقال: ﴿قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي۞وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي۞يَفْقَهُوا قَوْلِي۞وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي۞ هارُونَ أَخِي۞اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾(٤٣) وذلك كما قال هو: لكي يتقوى أكثر على مقارعة فرعون. فهو هنا يعمل على تهيئة سبب ماديّ ومعنوي ضروري، وهنا تظهر كفاءته في الطلب وفي الاختبار، وإلى جانب ذلك يطلب أموراً أخرى أيضاً، أي يعمل على تهيئة أسباب بعضها مادي والآخر معنوي: ﴿قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي۞وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي۞يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(٤٤).

### تهيئة أسباب النصر

وهكذا، فالعاملون لابدّ أن يعملوا على محورين:

أولهما: الثبات.

وثانيهما: تهيئة أسباب النصر.

وكلاهما يتخللهما العنصر الغيبي الذي لابدّ منه، ولكن حتى هذا العنصر الغيبي يتطلب

---

(٤٣) سورة طه: ٢٥.٣١.

(٤٤) سورة طه: ٢٥-٢٨، وانظر تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان) للإمام الراحل: ج١٦ ص٩٦ سورة طه، والتبيان في تفسير القرآن: ج٧ ص١٧٠ سورة طه.

سبباً أيضاً، وهو الدعاء والتوجه إلى الله بقلب سليم مطمئن، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ﴾(٤٥).

وهذا العنصر هو الفارق الرئيسي والجوهري بين العمل الإسلامي والعمل غير الإسلامي، ذلك لأن العمل الإسلامي دائماً يكون مؤطّراً به، وأما عمل الطواغيت فيكون عملاً مادّياً بحتاً، فتراه عندما يفشل ويسقط تتبدّد كل أعماله: ﴿كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾(٤٦)، فلا يبقى من القصور والإمبراطوريات إلاّ رسمها، وشيء من الذكريات المرّة. بينما العمل الإسلامي الخالص لله تبارك وتعالى فإنه يبقى خالداً في الدنيا إلى آخر الدهر؛ لأن يد الغيب هي التي تحافظ عليه وتجعله مناراً وأُسوة حسنة يُقتدى به.

ثم إنه ليس هناك فرق بين طواغيت الأمس واليوم إلاّ في الصورة، ولازم ذلك أن تختلف بعض الأساليب التي استخدمها العاملون بالأمس. فالحكام سابقاً على الرغم من سيطرتهم الفعلية على دفّة الحكم وبطشهم وظلمهم ووضع الشرطة والجواسيس على الناس، إلاّ أن ظاهرة اللا نظام كانت سائدة، أما حكام اليوم فحيلهم منظمة ومرتبة، ومواجهة ذلك يقتضي أن ينتظم العاملون ويكون عملهم منظماً أيضاً، لكي يصمد أمام المواجهات والتحديات المنظمة.

(٤٥) سورة الفرقان: ٧٧.

(٤٦) سورة إبراهيم: ١٨.

## من واقع الطواغيت

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٤٧).

إن عادة الطغاة إشاعة الفساد في الأرض بحرق النسل والحرث وما أشبه، وذلك من خلال قناتين:

١ ـ الإرهاب، المتمثل بالقتل والسجن والتعذيب وبثّ الجواسيس وشراء الضمائر ومحاربة الدين.

٢ ـ التفرّد بالأموال وثروات الشعب وصرفها على ما تشتهي أنفسهم، وحرمان الناس منها.

وبكلمة أخرى: إنّهم يسيطرون على الناس من خلال الجهاز السياسي والاقتصادي، أما الجانب الاجتماعي فهو مرتبط بذينك العاملين السابقين، فكلما فسد اقتصاد البلد وصودرت الثروات، عاش الناس في فقر مُدقع، وتكون عاقبة ذلك الفساد ـ بالطبع ـ الانحراف الأخلاقي.

وهكذا بالنسبة للجانب السياسي وتأثيره على الوحدة الاجتماعية للناس، ومن أشد الأمور التي تجعل المجتمع متأثراً، وتسوده الفوضى، هو تلاعب الطغاة بالأموال يميناً وشمالاً، وحرق الملايين على شهواتهم وملذاتهم وحرمان الشعب من ثرواته، فإن هذا النوع من السلوك يخلق لدى الجماهير سخطاً عاماً ربما يتبعه تصادم عنيف؛ لأن الجماهير تشعر بأن السلطة تسرق أموالها وخيراتها وتتمتع بها، وهم يعيشون في أحوال تعيسة وظروف صعبة، وهذا من أسباب خلق المعارضة مما يضطر الطاغية لأن يجابه تحرك الجماهير بكل قوة وعنف وإرهاب، خوفاً على كرسيه، فيكافح كل من يعترض على سلوكه وتصرفاته بكل قساوة.

## حكّام لا حكمة لهم

---

(٤٧) سورة القصص: ٤.

نقل عن خلافة الأمين بن هارون العباسي أنه عند ما ملك، وجّه إلى البلدان في طلب الملهين وأجرى لهم الأرزاق، واقتنى الوحوش والسباع والطيور واحتجب عن أهل بيته وأمرائه، واستخفّ بهم، ومحق ما في بيوت الأموال، وضيّع الجواهر والنفائس، وبنى عدّة قصور للّهو في أماكن مختلفة، وأجاز مرة أحد المغنين بأن ملأ له زورقه ذهباً. بينما كان الكثير من الجماهير في حكمه يعيش أسوء حالات الفقر(٤٨).

وهكذا الحال مع الطاغية صدام(٤٩) في العراق، فإنه يتمتع بمعيشة بذخ وإسراف، ويقضي كل شهواته الحيوانية، وملذاته الطائشة هو وأعوانه، بينما يعيش العراقيون في أوضاع مأساوية وظروف قاسية، فمئات الآلاف من المهجّرين والمهاجرين(٥٠)، ومئات الآلاف

---

(٤٨) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٣٠١.

(٤٩) صدام التكريتي، طاغوت العراق في العصر الحديث صنيعة الغرب ليلائم مطامعهم وينفذ مخططاتهم في المنطقة وفق ظروفها السياسية، ولد عام (١٩٣٩م) في قرية العوجة جنوب تكريت، انتمى إلى حزب البعث واشترك مع بعض عناصر الحزب في محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م) هرب إلى سوريا ومنها إلى مصر. وخلال فترة وجوده في القاهرة، تلقفته السفارة الأمريكية لتجنيده لمصلحة المخابرات الأمريكية، بعد أن كان مجنداً في الأصل لمصلحة المخابرات البريطانية كما روي عن مؤسس حزب البعث في العراق فؤاد الركابي، فقد ذكر في صحيفة الشرق الأوسط بأن الرئيس عبد الناصر قد أخبر ـ ناقل الخبر للصحيفة في عام (١٩٦٩م) وهو شخصية معروفة في الوطن العربي ـ أن صدام حسين هو رجل أمريكا الأول في المنطقة، وأنه كان دائم التردد على السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن المخابرات المصرية قد صورت ورصدت كل تحركاته واتصالاته بالسفارة الأمريكية.

اشترك في انقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م)، وفي عام (١٩٧٠م) أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة ورئاسة الجمهورية في حال غياب البكر عن البلاد. وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد أن أقصى البكر عن الحكم ومنح نفسه رتبة مهيب ركن. ووفق ماهو مخطط له من قبل أسياده هاجم إيران (١٩٨٠م) فاندلعت حرب الخليج الأولى واستمرت ثمان سنوات، ثم احتل الكويت عام (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية، فقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بإخراج الجيش العراقي من الكويت وتدمير العراق ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد. انتفض الشعب العراقي ضد طاغيته فقمع صدام انتفاضة الشعب العراقي بوحشية لا مثيل لها، وذلك بمعونة الغرب وأذنابهم في المنطقة، حتى قدرت أعداد من قتلوا وأعدموا واختفوا ما يزيد على ٣٠٠ ألف عراقي، وقيل ٥٠٠ ألف.

(٥٠) إشارة إلى جريمة التهجير القسري لمئات الآلاف من الأبرياء الذين هجّروا وشردوا في البراري

يقبعون في قعر السجون، فضلاً عن الحالة التي يعيشها الملايين من الشعب العراقي المظلوم، وكثرة الصعوبات والمضايقات. وعندما يثور الشعب ويغضب ضد هذه الأساليب اللاإنسانية ترى الطغاة كيف يقمعونها بوحشية نادرة قلّما نجد لها مثيلاً[٥١]، وأساليبهم معروفة للعالم كله.

وهكذا الحال في غيره من الرؤساء، الذين لا تراهم الشمس، ولا يعرفون للحر والبرد والجوع والفقر معنى، بينما تعيش الملايين من شعوبهم حالة البطالة والفقر والانزلاق الأخلاقي، وتفشي كل أنواع الفاحشة والجريمة.

فهذا واقع الطغاة، وهذه أساليبهم، وهذا طراز حياتهم، لايختلف الواحد عن الآخر إلاّ في بعض الشكليات، وإلاّ فالمضمون والجوهر واحد، أي: إن الروح العدائية للجماهير موجودة في قلب كل منهم، ولكن كل يعرفها بشكل أو بآخر وهؤلاء الطغاة هم من أكثر مشاكل المسلمين ومعانة الأمة.

## طغيان الحجّاج

كان الحجاج بن يوسف الثقفي[٥٢] من الطغاة الذين استولوا على الحكم الإسلامي

---

والقفار والبلدان وذلك عبر قرارات إرهابية أصدرها النظام الحاكم في العراق منذ استيلائه على كرسي الحكم، انظر كتاب (التهجير جناية العصر) للإمام الراحلP.

(٥١) كما حدث في قمع النظام الحاكم لانتفاضة الشعب العراقي عام (١٩٩١م) بوحشية لا مثيل لها.

(٥٢) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ، وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، أبو محمد الثقفي. ولد سنة (٤٥هـ) أو بعدها بيسير ونشأ بالطائف، وكان أبوه من أتباع بني أمية وحضر مع مروان حروبه، ونشأ ابنه مؤدب كتاب ثم لحق بعبد الملك بن مروان وحضر معه قتل مصعب بن الزبير ثم انتدبه لقتال عبد الله بن الزبير بمكة فجهزه أميرا على الجيش فحاصر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق إلى أن قتل ابن الزبير. وقال جماعة: إنه دس على ابن عمر من سمه في زج رمح، ولاه عبد الملك الحرمين مدة، ثم استقدمه فولاه الكوفة وجمع له العراقين فسار بالناس سيرة جائرة واستمر في الولاية نحوا من عشرين سنة، وكان فصيحا بليغا فقيها، وكان يزعم أن طاعة الخليفة فرض على الناس في كل ما يرومه ويجادل على ذلك، وخرج عليه ابن الاشعث ومعه أكثر الفقهاء والقراء من أهل البصرة وغيرها فحاربه حتى قتله، وتتبع من كان معه فعرضهم على السيف فمن أقر له أنه كفر بخروجه عليه أطلقه ومن امتنع قتله صبرا. حتى قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا

فإنه، الذي يعتبر واحد من أشهر طغاة التاريخ كان والياً لبني أمية الذين حكموا البلاد بالظلم والجور والاستبداد، عُرف الحجاج بأسلوبه البشع في تعذيب السجناء؛ حيث ذكر في كتب السيرة والتاريخ أنه كان قد صنع سجناً مكشوفاً يضم بداخله ما لا يقلّ عن مائة ألف سجين من الرجال والنساء بصورة مختلطة، يلاقون أشدَّ وأقسى الظروف المناخية كالحرِّ والبرد، ويعانون من صنوف التعذيب الجسدي والنفسي.

---

بالحجاج لغلبناهم. وأخرج الترمذي من طريق هشام بن حسان: أحصينا من قتله الحجاج صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا، وقال زاذان: كان مفلسا من دينه، وقال طاوس: عجبت لمن يسميه مؤمنا، وكفّره جماعة منهم سعيد بن جبير والنخعي ومجاهد وعاصم بن أبي النجود والشعبي وغيرهم، وقالت له اسماء بنت أبي بكر: أنت المبير الذي أخبرنا به رسول الله □. وقال القاسم بن مخيمرة: كان الحجاج ينقض عرى الاسلام عروة عروة. مات سنة (٩٥هـ) بواسط وهو الذي بناها، وقيل إنه لم يعش بعد قتل سعيد بن جبير إلا يسيرا.

انظر البداية والنهاية، لابن كثير: ج ٩ ص ١٣٦: وذكر صاحب العقد ان الحجاج كان هو وأبوه يعلمان الغلمان بالطائف، ثم قدم دمشق فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون لنزوله ولا يرحلون لرحليه، فقال روح: عندي رجل توليه ذلك، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل، حتى اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون فضربهم وطوف بهم وأحرق الفسطاط، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك، فقال للحجاج: لم صنعت هذا؟ فقال: لم أفعله إنما فعله أنت، فإن يدي يدك، وسوطي سوطك، وما ضرك إذا أعطيت روحا فسطاطين بدل فسطاطه، وبدل الغلام غلامين، ولا تكسرني في الذي وليتني؟ ففعل ذلك وتقدم الحجاج عنده. قال: وبنى واسط في سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وقيل قبل ذلك، وذكر في حكايته ما يدل أنه كان أولا يسمى كليبا، ثم سمي الحجاج. وذكر أنه ولد ولا مخرج له حتى فتق له مخرج، وأنه لم يرتضع أياما حتى سقوه دم جدي ثم دم سالخ ولطخ وجهه بدمه فارتضع، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء، لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم الذي لطخ به وجهه، ويقال: إنه أمه هي المتمنية لنصر بن حجاج بن علاط، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شبهة، وكان يغضب غضب الملوك، وكان فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضا.

انظر تهذيب التهذيب: ج٢ ص١٨٤ ح٣٨٨ تمييز. والبداية والنهاية: ج٩ ص١٣٦ ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي.

وفي التاريخ: أنه قد أحصي من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه، فوجد مائة وعشرين ألفاً، مات وفي حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، منهن ستة عشر ألفاً مجردة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد(٥٣).

وكان الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان يؤيِّد كل أعمال الحجاج، ويُمدّه بما يحتاج إليه؛ وكيف لا، وهو القائل حينما استلم مقاليد الخلافة: والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلاّ ضربت عنقه(٥٤).

وهو الذي حين أفضى الأمر إليه، وكان المصحف في حجره فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك(٥٥)، وليس هذا فحسب، بل إنه عندما حضرته الوفاة جعل يوصي ابنه الوليد بالحجاج خيراً، رغم علمه بوحشيته وولعه بالدماء، فيقول لابنه: وانظر الحجاج فأكرمه، فإنه هو الذي وطَّأ لكم المنابر، وهو سيفك، يا وليد، ويدك على من ناواك، فلا تسمعنَّ فيه قول أحد، وأنت إليه أحوج منه إليك، وادع الناس إذا متُّ إلى البيعة؛ فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا(٥٦).

ثم يعلِّق السيوطي فيقول: لو لم يكن من مساويء عبد الملك إلاّ الحجّاج، وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة، يهينهم ويُذِلُّهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين مالا يحصى، فضلاً عن غيرهم، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً، يريد بذلك ذُلّهم فلا رحمه الله ولا عفا عنه(٥٧).

وقيل للشعبي: أكان الحجاج مؤمناً؟

قال: نعم بالطاغوت!

وكان الشعبي يقول: لو جاءت كل أُمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا

---

(٥٣) مروج الذهب: ج٣ ص١٧٥ ذكر أيام الوليد بن عبد الملك.

(٥٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢١٩ عبد الملك بن مروان.

(٥٥) تاريخ بغداد: ج١٠ ص٣٨٩ وفي خبر آخر قالوا: لما سلم على عبد الملك بن مروان بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه وقال: هذا فراق بيني وبينك.

(٥٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢٢٠ عبد الملك بن مروان.

(٥٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢٢٠ عبد الملك بن مروان.

عليهم[٥٨]. ومما ينقل أن الحجاج كان في صغره لا يقبل الثدي، وأعياهم أمره، فيقال: إن الشيطان تصوّر له في صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب، فسألهم عن ذلك، فأخبره مخبر من أهله، فقال لهم: إذبحوا له تيساً وألعقوه من دمه، وأولغوه فيه، ثم اطلوا به وجهه، ففعلوا ذلك، فقبل الثدي؛ فلأجل ذلك كان لا يصبر على سفك الدماء، وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذَّاته سفك الدماء، وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها[٥٩].

ومن ذلك ما روي: أن الحجاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم: أحب أن أصيب رجلا من أصحاب أبي تراب فأتقرب إلى الله بدمه! فقيل له: ما نعلم أحدا كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه.

فبعث في طلبه، فأتي به، فقال له: أنت قنبر؟

قال: نعم.

قال: أبو همدان؟

قال: نعم.

قال: مولى علي بن أبي طالب؟

قال: الله مولاي وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي.

قال: ابرأ من دينه؟

قال: فإذا برئت من دينه تدلني على دين غيره أفضل منه.

قال: إني قاتلك، فاختر أي قتلة أحب إليك؟

قال: قد صيرت ذلك إليك.

قال: ولم؟

قال: لأنك لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها، وقد أخبرني أمير المؤمنين □ أن ميتتي تكون ذبحا ظلما بغير حق.

---

(٥٨) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: ج٢ ص١٨٤ الرقم ٣٨٨؛ وانظر البداية والنهاية: ج٩ ص١٣٦ ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٥٩) المستطرف: ج١ ص١٢١، وانظر مروج الذهب: ج٣ ص١٣٣ ذكر طرف من أخبار الحجاج وخطبه.

قال: فأمر به فذبح(٦٠).

ولكن مع كبريائه وجبروته وبطشه الشديد، نراه ذليلاً لشهوته، منقاداً لهواه، تعيس الحظِّ حتى مع النساء.

## الحجّاج على لسان إحدى زوجاته

فقد حكي أن هنداً إبنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها. فوصِف للحجاج حسنها، فأنفذ إليها يخطبها، وبذل لها مالاً وافراً، وتزوج بها، وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم، ودخل بها، ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة وتقول:

وما هند إلاّ مهرةٌ عربيةٌ قصي سليلة أفراسٍ تحلَّلها بغل
فإن وَلَدت فحلاً فلله درُّها وإن ولدت بغلاً فجاء به البغل

فسمعها الحجاج فانصرف ولم يدخل عليها، ثم بعث عبد الله بن طاهر ليطلِّقها فأعطاها المائتي ألف درهم، فقالت: جئت بها بشارة بخلاصي من كلب بني ثقيف. ثم بعد ذلك بلغ عبد الملك بن مروان خبرها، فأرسل إليها يخطبها، فاشترطت عليه: أن يقود الحجاج محملي إلى بلدك التي أنت فيها، ويكون ماشياً حافياً، فلما علم عبد الملك شرطها ضحك وأنفذ إلى الحجاج وأمره بذلك، فامتثل الحجاج لذلك. فهذا هو الحجاج(٦١).

وكذلك هو واقع الظلمة والطغاة، الذين ينقضّون بكل قواهم على المستضعفين، في حين أن قوتهم وجبروتهم هذه تذوب أمام النساء والملَذّات الأخرى.

إن السلوك الذي يمارسه الجبابرة على الأمم والشعوب، وإن أخضعها حيناً إلاّ أنها ما تلبث أن تفلت وتتمرد على الطاغوت وتخرج من ربقته؛ لأن القوة والبطش والرعب والسجون كل ذلك لا يكون نظاماً للناس، أو منهاجاً لحياتهم، بل إنها تخلق جوّاً إرهابياً يخشاه الناس حيناً، ثم ينقلب الأمر على الطاغوت.

نعم، إن من معاناة الإسلام والمسلمين هؤلاء الطغاة وسياستهم المنحرفة واللاعقلائية،

---

(٦٠) بحار الأنوار: ج٤٢ ص١٢٦ ب١٢٢.

(٦١) للمزيد راجع البداية والنهاية: ج٩ ص١٣٦ ترجمة الحجاج بن يوسف.

فإنها تبعث في كثير من الأحيان في نفوس الأمة الخوف والهزيمة، وذوبان القيم الأخلاقية وانصهارها في اللاشعور، وتظهر أساليب وسلوكيات أخرى تعكس واقعهم المزري، وضحالة الحالة الاجتماعية، أمثال المكر والرشوة والوشاية والتجسس، وغيرها.

## الأسباب والمسببات

فعلى الأفراد والأمم أن يسألوا أنفسهم: لماذا يتسلط هؤلاء الطغاة عليهم؟

وما هي الأسباب التي دعت لذلك؟

ثم ما هي الأساليب التي بها يمكن إزالة حكم هؤلاء الظلمة؟

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾(٦٢).

إذاً هناك منهج ربّاني تحكمه قوانين إلهية دقيقة لا بد أن يلتفت إليها الإنسان؛ ولهذا جاء التأكيد على التدبر في آيات القرآن؛ لأن فيها بيان سنن الله في الحياة، ولكن الإنسان هو الذي لا يلتفت إليها.

إن قانون الأسباب والمسببات هو الذي يحكم الكون بنظامه الصارم، فلكل معلول علة، ولكل فعل ردّ فعل، ولكل عمل نتيجة أو نتائج.

قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين□: «الذنوب التي تغير النعم: البغي على الناس والزوال عن العادة في الخير واصطناع المعروف، وكفران النعم وترك الشكر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لايُغَيِّرُ ما بِقَوْم حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٦٣).

والذنوب التي تورث الندم: قتل النفس التي حرم الله، قال الله تعالى في قصة قابيل حين قتل أخاه هابيل فعجز عن دفنه: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِين﴾(٦٤).

وترك صلة القرابة حتى يستغنوا، وترك الصلاة حتى يخرج وقتها، وترك الوصية ورد المظالم، ومنع الزكاة حتى يحضر الموت وينغلق اللسان.

والذنوب التي تنزل النقم: عصيان العارف بالبغي، والتطاول على الناس، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم.

والذنوب التي تدفع القسم: إظهار الافتقار، والنوم عن العتمة، وعن صلاة الغداة،

---

(٦٢) سورة الرعد: ١١

(٦٣) سورة الرعد: ١١.

(٦٤) سورة المائدة: ٣١.

واستحقار النعم، وشكوى المعبود عزوجل.

والذنوب التي تهتك العصم: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.

والذنوب التي تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والذنوب التي تديل الأعداء: المجاهرة بالظلم، وإعلان الفجور، وإباحة المحظور، وعصيان الأخيار، والانطياع للأشرار.

والذنوب التي تعجل الفناء: قطيعة الرحم، واليمين الفاجرة، والأقوال الكاذبة، والزنا، وسد طريق المسلمين، وادعاء الإمامة بغير حق.

والذنوب التي تقطع الرجاء: اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغير الله، والتكذيب بوعد الله عزوجل.

والذنوب التي تظلم الهواء: السحر، والكهانة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وعقوق الوالدين.

والذنوب التي تكشف الغطاء: الاستدانة بغير نية الأداء، والإسراف في النفقة على الباطل، والبخل على الأهل والولد وذوي الأرحام، وسوء الخلق، وقلة الصبر، واستعمال الضجر والكسل، والاستهانة بأهل الدين.

والذنوب التي ترد الدعاء: سوء النية، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها، وترك التقرب إلى الله عزوجل بالبر والصدقة، واستعمال البذاء والفحش في القول.

والذنوب التي تحبس غيث السماء: جور الحكام في القضاء، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة والقرض والماعون، وقساوة القلب على أهل الفقر والفاقة، وظلم اليتيم والأرملة، وانتهار السائل ورده بالليل»[٦٥].

---

(٦٥) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٨١ ب٤١ ح٢١٥٥٦.

## الفضائل ازدهار الحياة

في المقابل عندما تكون هناك أمة صالحة يعيش أفرادها بوئام وسلام وتراحم، ستكون أعمالهم هذه أسباباً لازدهار الحياة وسعادتها؛ وهذا كله بحاجة إلى الإخلاص في العمل، فإن هكذا الإخلاص يزيد في العلم والحكمة، وفقاً لقول الرسول الأعظم□: «من أخلص لله أربعين يوماً فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(٦٦).

وعن أبي جعفر □ قال: «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوما، إلا زهده الله في الدنيا، وبصره داءها ودواءها، وأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، ثم تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾(٦٧) فلا ترى صاحب بدعة إلا ذليلاً، أو مفتريا على الله عزوجل وعلى رسوله وأهل بيته (صلى الله عليهم أجمعين) إلا ذليلا»(٦٨).

ومن المعلوم أنه بواسطة العلم والحكمة تزدهر الحياة العامة، وينتفع الناس بذلك، وكذلك تعدّ صلة الرحم من الصفات المحببة التي يحثنا عليها أئمتنا □ وهي من أسباب الزيادة في العمر؛ فعن الإمام الرضا □ قال: «يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيّرها الله ثلاثين سنة، ويفعل الله ما يشاء»(٦٩).

وكلما ازداد العمر أمكن للإنسان أن ينتفع من ذلك.

وهكذا بقية الأعمال الصالحة، فالصدقة تدفع البلاء، قال الإمام الباقر □: «الصدقة تدفع البلاء المبرم فداووا مرضاكم بالصدقة»(٧٠).

وحسن الخلق يزيد في الرزق، حيث ورد عن الرسول الأعظم□ قوله: «حسن الخلق يزيد

---

(٦٦) عدة الداعي: ص٢٣٢ ب٤ ق٣ خاتمة.

(٦٧) سورة الأعراف: ١٥٢.

(٦٨) بحار الأنوار: ج٦٧ ص٢٤٠ ب٥٤ ح٨.

(٦٩) الكافي: ج٢ ص١٥٠ باب صلة الرحم ح٣.

(٧٠) وسائل الشيعة: ج٢ ص٤٣٤ ب٢٢ ح٢٥٦٥.

في الرزق»[٧١].

وغير ذلك كثير من الأسباب والفضائل التي إذا هيّأها أبناء المجتمع فإنهم يكونون قد هيّأوا لأنفسهم أسباب العيش الهنيء والحياة الآمنة، البعيدة عن الحوادث والكوارث وغضب الله. ومن خلال هؤلاء الناس أنفسهم يظهر من فيه كفاءة القيادة، فيسوسهم بالرحمة والعطف والعدل وهذا يسبب نجاة المسلمين من معاناتهم.

## الرذائل وهلاك المجتمع

ومن أسباب معاناة المسلمين ما نراه اليوم من تفش المحرمات والرذائل فإنها توجب هلاك المجتمع.

عن أبي جعفر □ قال: «وجدنا في كتاب رسول الله □ إذا ظهر الزّنا من بعدي كثر موت الفجأة، وإذا طفّف المكيال والميزان أخذهم الله بالسّنين والنّقص، وإذا منعوا الزّكاة منعت الأرض بركتها من الزّرع والثّمار والمعادن كلّها، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظّلم و العدوان، وإذا نقضوا العهد سلّط الله عليهم عدوّهم، وإذا قطّعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي سلّط الله عليهم شرارهم فيدعوا خيارهم فلا يستجاب لهم»[٧٢].

نعم، إذا اتصف أبناء المجتمع بالرذائل والصفات غير الأخلاقية فإن هذه الصفات نفسها تكون كافية لإهلاكهم وتسليط الجبابرة عليهم، لأن طبيعة الإنسان العاصي أن يكون مستغرقاً في الملذّات والهوى، ولا يعلم كيف تجري الأمور السياسية والاقتصادية أو غيرها، فهو يجهل حتى هدفه في الحياة، فمثلاً عندما تستشري ظاهرة الزنا ـ والعياذ بالله في المجتمع ـ فالزنا فعل لابدّ له من نتائج، ومن نتائجه المعنوية قصر العمر، ومن نتائجه الماديّة شيوع الأمراض الجنسية الزهرية الخطيرة وهكذا الإيدز وغيره، وتفشي الانحلال الأخلاقي.

ثم إن بعض هذه الذنوب تكون نتائجها السيئة سريعة، أي أن ما يتبعها من مساوي

(٧١) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٤٥ ب٨٧ ح٩٩٤٧.

(٧٢) الكافي: ج٢ ص٣٧٤ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح٢.

تظهر مباشرة فتنعكس سلبياتها في المجتمع(٧٣).

(٧٣) ومن أخطر هذه الأمراض مرض نقص المناعة المكتسبة الذي يعرف بالإيدز، فقد ذكر في بعض التقارير حول هذا المرض، ما يلي:

يبدو أن مرض الإيدز الذي تسبب في وفاة أكثر من ثلاثة ملايين شخص وارتفع عدد المصابين به إلى (٤٢ مليونا) في عام (٢٠٠٢م) أكثر خطورة بتقدمه بسرعة ليشمل قارات أخرى غير أفريقيا إلى درجة يهدد معها استقرار الكرة الأرضية.

وحذر مدير برنامج منظمة الأمم المتحدة لمكافحة الإيدز من أن التقديرات تثير مخاوف من إصابة (٤٥ مليون) شخص آخرين حتى عام (٢٠١٠م) في الدول ألـ(١٢٦) الأقل دخلا و٤٠% منها في آسيا والمحيط الهادئ إذا لم تتخذ إجراءات فعالة. وأضاف: إن مكافحة المرض بفعالية تتطلب عشرة مليارات دولار سنويا مقابل ثلاثة مليارات حاليا. وبانتظار تحقيق ذلك لا يحصل غالبية المرضى في العالم على العلاج وينتشر المرض بوتيرة خطيرة تبلغ (١٤ ألف شخص) يوميا (أي خمسة ملايين في عام ٢٠٠٢م).

وللمرة الأولى في تاريخ هذا المرض تشكل النساء ٥٠% من مجمل المصابين مقابل ٤٨% في العام الماضي. وتبقى القارة السوداء التي يبلغ عدد المصابين فيها (٢٩,٤ مليون) شخص الأكثر ضررا. فخلال العام الجاري توفي (٢,٤ مليون) من الأفارقة بالإيدز ويواجه أكثر من (١٤ مليوناً) خطر الموت بسبب المجاعة التي يزيد المرض من خطورتها لأنه يحصد القوى المنتجة.

وقال مدير إدارة مساندة الدول في بوتسوانا: لو لم ينتشر الإيدز في بوتسوانا لبلغ معدل الحياة (٦٢ عاما) بدلا من (٣٧ عاما) اليوم وأسس الأمن والاستقرار بحد ذاتها تأثرت في هذه المنطقة التي تبلغ نسبة العسكريين المصابين فيها بين ٤٠ و٥٠%".

أما الصين والهند حيث يمكن أن يبلغ عدد حاملي الفيروس عشرة ملايين شخص مع انتهاء العقد الجاري إذا لم يتم الحد من انتشار المرض تشكلان قنبلتين موقوتتين حقيقيتين، بينما يستمر الإيدز في الانتشار بسرعة كبير في أوروبا الشرقية ووسط آسيا.

وإن التقديرات غير الرسمية تقدر عدد الحاملين لفيروس المرض بين أربعة ملايين إلى عشرة ملايين شخص في الهند، وترى أن عدد الإصابات سيتضاعف كل ثلاثة إلى أربعة أعوام. وأن ما بين (٢٠ و٢٥ مليون) هندي سيصابون بالمرض بحلول عام (٢٠١٠م) إذا لم يتم فعل أي شيء لاقتلاع المرض، وسيشكل هذا العدد حوالي ٢% من عدد السكان (مقارنة بأكثر من ٢٠% بالنسبة لبعض الدول الأفريقية) ولكن الرقم بحد ذاته قد يشل عجلة التطور والتنمية في الهند.

ويرى الأمين العام للاتحاد الدولي للهلال والصليب الأحمر استناداً لإحصائية معتمدة بأن هناك

نصف مليون مولود يولدون وكأنهم مصابون بفيروس الإيدز، نتيجة لتخوف الأمهات من إجراء الفحوص الطبية الخاصة بمعرفة مدى إصابتهن أو حملهن للفيروس.

وسجل انتشار المرض في أوروبا الشرقية ارتفاعاً بنسبة بلغت حوالي (٤,٢٦%) خلال السنوات الخمس الأخيرة، يضاف لذلك نصف مليون مريض كما تشير لذلك قوائم المصابين بالإيدز في العالم سنوياً.

أما عن العالم العربي فتشير معلومات الاتحاد الدولي لجمعيات الهلال والصليب الأحمر، أن دوله ما تزال تتحفظ في الحديث عن مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز)، وقال مسؤولون في الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية: إن المصابين بفيروس نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) يزيد عددهم في الدول العربية سنويا بمعدل ثمانين ألف مصاب ليصل مجموعهم حاليا إلى نحو (٧٥٠ ألف) مصاب بالإيدز.

وفي تقرير آخر جاء فيه: بناء على تقرير نشرته وزارة الصحة البريطانية جاء فيه: أن معدل الإصابة بالأمراض التي تنتقل عدواها بواسطة العلاقات الجنسية بلغ هذا العام أعلى مستوياته في السنوات العشر الماضية.

فقد سجلت معدلات الإصابة بالكلاميديا في الأعضاء التناسلية . وهو مرض تسببه مجموعة من المتعضيات المجهرية . بنسبة ٦٧% في السنوات الخمس الأخيرة، إذ ارتفع عدد المصابين بالمرض من(٣٢,٣٧١ مصاباً) عام (١٩٩٥م) إلى (٥٦,٨٥٥) في عام (١٩٩٩م). كما ازدادت الإصابة بالسفلس بنسبة ٥٤%، والسفلس مرض يصيب اللوطيين وثنائي الجنس، ممن يمارسون الجنس مع الرجال والنساء على حد سواء.

وفي الولايات المتحدة الذي ولد هذه الأمراض، تشير بعض التقارير عن حدوث ارتفاع كبير في عدد حالات الإصابة بمرض الزهري بين الشواذ والرجال ثنائي الميول الجنسية في مدينة لوس أنجلس الأمريكية مما دفع منظمة للرعاية الصحية لمرض الإيدز لاتهام مسئولي الصحة بتجاهل المرض، فقد قال مسؤول الصحة في المنطقة: أن دراسة حديثة أظهرت أن عدد حالات الإصابة بالزهري قفز من (٣٠) حالة عام (٢٠٠٠م) إلى (٥٠٧ حالات) في عام (٢٠٠٢م)، وأضافت الدراسة أن ٦٢% من الحالات الجديدة كانت بين الشواذ والرجال ذوي الميول الجنسية الثنائية، وأن ستاً من بين كل عشر حالات كانت لرجال مصابين بالفعل بفيروس (أتش أي في) (H.A.V) المسبب لمرض الإيدز. وأوضح أطباء في مؤسسة الرعاية الصحية لمرضى الإيدز وهي أكبر منظمة أمريكية تعنى بالإيدز أن عدد حالات الزهري التي لم يتم تشخيصها في لوس أنجلس تفوق على الأرجح عدد الحالات التي اكتشفت بنحو ١٣ إلى ١.

فمثلاً، الزنا ينشر الأمراض، وفساد السوق والميزان يوجب الجدب والقحط. وإذا منع الناس الزكاة أو الخمس منعت السماء ماءها.

وهكذا في المقابل، فإن الله قد جعل لكل صفةٍ أخلاقية حسنة نتائج معنوية إيجابية، ونتائج مادية إيجابية ينتفع الناس منها.

كما جعل الله لكل صفة لا أخلاقية، ولكل ذنب أو معصية نتائج سلبية تنعكس على روح الإنسان، فتضعف إيمانه، ونتائج سلبية مادية تنعكس أضرارها في المجتمع، قال رسول الله □: «خمس إن أدركتموهنَّ فتعوذوا بالله منهنَّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة إلاّ مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاّ سلّط الله عليهم عدوّهم وأخذوا بعض ما في أيديهم، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله (عز وجل) إلاّ جعل الله عز وجل بأسهم بينهم»(٧٤).

وهذا الحديث الشريف يكشف لنا عن نظام العليّة وقانون الأسباب والمسببات وبعض أسرار تسلط الظلمة على الناس، لكنه يؤكد على أن ذلك التسليط ليس من قبل الله (والعياذ بالله)، بل هو من جزاء أيدي الناس وأعمالهم.

قال عزوجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي

---

إن هذه التقارير تؤكد على صحة وصواب التوجهات الأخلاقية للدين الإسلامي الحنيف، وكما تؤكد في الفرض نفسه على زيف وعدم صحة الحضارة الغربية التي كانت ولا زالت هي السبب الحقيقي للأمراض والمشاكل الصحية والاجتماعية والنفسية التي يعاني منها عشرات الآلاف من شعوب تلك الأنظمة، وهي أخيراً السبب الأول والرئيسي لما تعانيه شعوب العالم الثالث من فقر وجهل وتمييز وروح عدم الاكتراث واللامبالاة من قبل الدول الغربية التي كانت هي المسببة لمعاناة تلك الشعوب، ومنها ما تعانيه اليوم من انتشار لهذا الوباء الخطير وكأنه حرب جديدة يخوضها العالم الغربي ضد هذه الشعوب من أجل القضاء عليها تطبيقاً لنظرياتهم في الاقتصاد. إن الحياة الدولية والشخصية أيضاً تقدم إلينا في كل يوم الدليل تلو الآخر بعظمة ما جاء به خاتم الأنبياء محمد □، وما دعا إليه ديننا الإسلامي الحنيف. للتفصيل انظر شبكة النبأ المعلوماتية.

(٧٤) الكافي: ج٢ ص٣٧٣ باب في عقوبات المعاصي ح١.

عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٧٥).

## الخروج من المأزق

ثم إن اللازم للخروج من هذا المأزق والتخلص من هذه المعاناة ولكي نصل إلى الحياة الطيبة والقيادة العادلة لابد لنا من أن نأخذ بعين الاعتبار قانون الأسباب والمسببات والسنن الكونية، ونعمل كل ما بوسعنا لكي تكون أعمالنا صالحة، حتى تأتي النتائج صالحة فتنعكس إيجابياتها على مختلف الناس، كما إن من الضروري إيجاد التعددية السياسية لكي لا يكون مجال لتسلُّط الطغاة والجبابرة. فإذا استطعنا أن نبني ونُربّي أولادنا على الفضيلة والأدب الإسلامي وسلوك أهل البيت □، نكون قد ضمنّا قيادة عادلة حكيمة في المستقبل؛ إذ عندما نجهل هذا الكون وما أودع الله فيه من السنن، ونهجر القرآن الذي فيه علم كل شيء، ولم نتبع سيرة رسول الله□ وأهل بيته الأطهار □ نكون قد تخلّينا عن حياتنا السعيدة وعن مصيرنا الموعود، فنذوب في العمل اليومي والقضايا الجانبية والثانوية، فقد قال أمير المؤمنين □: «الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم»(٧٦).

وكلما ازداد ابتعادنا عن القرآن وعن منهج أهل البيت □ ازداد استغراقنا في المتاهات، لنفاجأ مَدهوشين بالطغاة واحداً تلو الآخر كدهشتنا بحاكم كالحجاج أو صدام وقد تسلط علينا.

وعندها نقول: لماذا سلّطه الله علينا؟ ونبتهل إلى الله بالدعاء والفرج، ولكن دون جدوى فعملنا هو ـ في الواقع ـ الذي فسح المجال لأن يأتي أمثال هؤلاء الطغاة، وبالعمل والسلوك أيضاً نستطيع أن نبدّل الواقع السيئ إلى واقع حسنٍ ومُرْضٍ، حيث قال تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾(٧٧). فإذا كان الإنسان دائماً في طاعة الله، مقيماً لشعائره ومجداً في سبيله، ومدافعاً عن الدين والمؤمنين، وباذلاً روحه وأمواله في سبيل شريعة الله عز

---

(٧٥) سورة الروم: ٤١.

(٧٦) نهج البلاغة، الكتب: ٤٧ من وصية له □ للحسن والحسين □ لما ضربه ابن ملجم (عليه لعنة الله).

(٧٧) سورة محمّد: ٧.

وجل، فإن هذا بحدّ ذاته نصر لدين الله، وسيكون سبباً لغلق الأبواب التي منها يتسلّل الانتهازيون وأشباههم ممّن يريدون الكيد بالإسلام العظيم، وكلما ازداد الدفاع عن الإسلام قويت قاعدة المسلمين التي تنتهي برسوخ وثبات الحكم الإسلامي.

## حكومة أمير المؤمنين □

إن لنا تجربة رائعة في الحكم وقدوة عظيمة نتأسى بها دوماً وهي دولة أمير المؤمنين □، حيث جسَّد أروع صور العدل الإنساني فيقول □: «إن هذا المال ليس لي ولك، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا يكون لغير أفواههم»(٧٨).

ويقول □: «إن السلطان لأمين الله في الأرض، ومقيم العدل في البلاد والعباد ووزعته في الأرض»(٧٩).

وكتب □ للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر، جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها:

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه؛ فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه، وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات؛ فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله.

ثم اعلم يا مالك، أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك

---

(٧٨) نهج البلاغة، الخطب: ٢٣٢ من كلام له □ كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً.

(٧٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ ق٤ ب٢ الفصل٣ ح٧٧٩٧.

ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك؛ فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت، وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه؛ فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم. ولا تنصبن نفسك لحرب الله؛ فإنه لا يد لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحةً ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع؛ فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير. وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهةً أو مخيلةً فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك.

إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته؛ فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال، أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوًى من رعيتك؛ فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد. وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية؛ فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مئونةً في الرخاء وأقل معونةً له في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف وأقل شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك لهم وميلك معهم، وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس؛ فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك

ما تحب ستره من رعيتك. أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لايضح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع؛ فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين، ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل و الجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانةً؛ فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه، أولئك أخف عليك مئونةً وأحسن لك معونةً وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك إلفاً، فاتخذ أولئك خاصةً لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك وأقلهم مساعدةً فيما يكون منك، مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع. والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ألا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله؛ فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة. ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء؛ فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المئونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك؛ فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده. ولا تنقض سنةً صالحةً عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنةً تضر بشيء من ماضي تلك السنن؛ فيكون الأجر لمن سنها، والوزر عليك بما نقضت منها. وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق،

ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه، ووضع على حده فريضةً في كتابه أو سنة نبيه □ عهداً منه عندنا محفوظاً، فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج؛ الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، و يكون من وراء حاجتهم، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتّاب؛ لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه، فيما خفّ عليه أو ثقل، فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف، ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة؛ فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف، ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولايتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل؛ فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك، ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها؛ فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه، وليكن آثر رءوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم، من خلوف أهليهم؛ حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك. وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الأمور، وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم، فافسح في آمالهم وواصل في حسن

الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم؛ فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع و تحرض الناكل إن شاء الله.

ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضمن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً، واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور؛ فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة. ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم، ولايتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولاتشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك؛ ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً؛ فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباةً وأثرةً؛ فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة؛ فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل في المطامع إشراقاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق؛ فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم؛ فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة.

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله؛ فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علةً أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المئونة عنهم؛ فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم؛ فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبةً أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر، ثم انظر في حال كتّابك، فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق، ممن لاتبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ، ولاتقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك، ولايضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور؛ فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل، ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك؛ فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً؛ فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره، واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها، ومهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته. ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه؛ فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترءون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته. وتفقد أمورهم

بحضرتك وفي حواشي بلادك. واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار؛ فإن رسول الله □ منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع؛ فمن قارف حكرةً بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه في غير إسراف.

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمنى؛ فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد؛ فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه. ولا يشغلنك عنهم بطر؛ فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم. وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه؛ فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن، ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبّروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم. واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك؛ حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع، فإني سمعت رسول الله □ يقول في غير موطن: لن تقدس أمة لايؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع، ثم احتمل الخرق منهم والعي، ونح عنهم الضيق والأنف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وإعذار.

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتّابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك، وأمض لكل يوم عمله؛ فإن لكل يوم ما فيه، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية، وليكن في

خاصة ما تخلص به لله دينك إقامة فرائضه، التي هي له خاصةً، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفِّ ما تقربت به إلى الله من ذلك، كاملاً غير مثلوم ولامنقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ. وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً؛ فإن في الناس من به العلة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله □ حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال: صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً.

وأما بعد، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك؛ فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب؛ وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه؟ أو فعل كريم تسديه، أو مبتلًى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لامئونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة. ثم إن للوالي خاصةً وبطانةً، فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولاتقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعةً، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس، في شرب أو عمل مشترك، يحملون مئونته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة.

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة. وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنونهم بإصحارك؛ فإن في ذلك رياضةً منك لنفسك ورفقاً برعيتك وإعذاراً، تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق. ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضًا؛ فإن في الصلح دعةً لجنودك، وراحةً من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب ليتغفّل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن. وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدةً أو ألبسته منك ذمةً، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنةً دون ما أعطيت؛ فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم، وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين؛ لما

استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك ولاتخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك؛ فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق؛ فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبة لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك.

إياك والدماء وسفكها بغير حلها؛ فإنه ليس شيء أدعى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام؛ فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله، ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن، وإن ابتليت بخطأ، وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلةً، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم. وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء؛ فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين. وإياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك؛ فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ .

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت، فضع كل أمر موضعه، وأوقع كل أمر موقعه. وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما تعنى به، مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم، املك حمية أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك، فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك، والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا □ أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من

الحجة لنفسي عليك؛ لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها، وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه، من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، إنا إليه راجعون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً والسلام»[٨٠].

والآن وقد فقد العدل في أغلب صوره في الدول التي أعقبت حكم الإمام أمير المؤمنين □؛ ولذا عاد الإسلام غريباً كما بدأ، وأصبحت مبادئه غريبة في أغلب بلاد الإسلام، من جرّاء اللهاث وراء القوانين الوضعية الجائرة وقد استولى الطغاة على البلاد وهذا من أكبر معاناة الإسلام والمسلمين.

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد «ولا تبتلني بالكسل عن عبادتك، ولا العمى عن سبيلك، ولا بالتعرض لخلاف محبتك، ولا مجامعة من تفرّق عنك، ولا مفارقة من اجتمع إليك. اللهم اجعلني أصول بك عند الضرورة، وأسألك عند الحاجة، وأتضرع إليك عند المسكنة، ولا تفتني بالإستعانة بغيرك إذا اضطررت. ولابالخضوع لسؤال غيرك إذا افتقرت»[٨١] بحق محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

(٨٠) نهج البلاغة، الكتب: ٥٣ كتابه □ للأشتر النخعي.

(٨١) الصحيفة السجادية: ٢٠ من دعائه □ في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

# من هدي القُرآن الحكيم

## من صفات الحاكم الإسلامي:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٨٢).

وقال عزوجل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾(٨٣).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٨٤).

وقال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٨٥).

## الثبات على المبدأ:

قال تبارك وتعالى: ﴿وَما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَثَبِّتْ أَقْدامَنا وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾(٨٦).

وقال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ

---

(٨٢) سورة المائدة: ٤٢.

(٨٣) سورة النساء: ٥٨.

(٨٤) سورة النحل: ٩٠

(٨٥) سورة الحديد: ٢٥.

(٨٦) سورة آل عمران: ١٤٧.

اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ﴾(٨٧).

وقال عزوجل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٨٨).

وقال جل وعلا: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٨٩).

**لا للخوف.. فإنه أحد أسباب تسلط الطغاة:**

قال تعالى: ﴿إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٩٠).

وقال سبحانه: ﴿... فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾(٩١).

وقال عزوجل: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٩٢).

وقال سبحانه: ﴿قالَ لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى﴾(٩٣).

**الإخلاص في العمل:**

قال عزوجل: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً ۞ إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ۞ إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُولئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(٨٧) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٨٨) سورة النحل: ١٠٢.

(٨٩) سورة الأنفال: ٤٥.

(٩٠) سورة آل عمران: ١٧٥.

(٩١) سورة المائدة: ٤٤.

(٩٢) سورة المائدة: ٥٤.

(٩٣) سورة طه: ٤٦.

وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾(٩٤).

وقال عز من قائل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(٩٥).

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلا للهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(٩٦).

وقال سبحانه: ﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ۞ فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾(٩٧).

## من هدي السنة المطهرة

### من صفات الحاكم الإسلامي:

قال رسول الله □: «من ولي عشرة فلم يعدل فيهم جاء يوم القيامة ويداه ورجلاه ورأسه في ثقب فاس»(٩٨).

وقال □: «أول من يدخل النار أمير متسلط لم يعدل...»(٩٩).

وقال الإمام الصادق □: «من تولى أمراً من أُمور الناس فعدل وفتح بابه ورفع ستره ونظر في أمور الناس كان حقاً على الله عزوجل يؤمن روعته يوم القيامة ويدخله الجنة»(١٠٠).

### الثبات والاستمرارية في العمل:

---

(٩٤) سورة النساء: ١٤٤-١٤٦.

(٩٥) سورة الأعراف: ٢٩.

(٩٦) سورة الزمر: ٣.

(٩٧) سورة الزمر: ١٤-١٥.

(٩٨) ثواب الأعمال: ص٢٦٠ كتاب عقاب الأعمال باب عقاب من ولي عشرة فلم يعدل فيهم.

(٩٩) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٨ ب٣١ ح٢٠.

(١٠٠) أمالي الصدوق: ص٢٤٤ المجلس٤٣ ح٢.

قال الإمام الصادق □: «قال أبونا رسول الله □: المداومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وإن قلَّ أرضى لله وأنفع عنده في العاقبة من الاجتهاد في البدع واتباع الأهواء»(١٠١).

وقال أمير المؤمنين □ في وصيته للإمام الحسين □: «يا بني، أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وبالعدل على الصديق والعدو، وبالعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله في الشدة والرخاء»(١٠٢).

وقال الإمام الصادق □: «أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد وإن قل»(١٠٣).

**التحذير من مؤازرة الحكّام الظالمين:**

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه □ عن رسول الله □ . في حديث المناهي .: «أنه نهى عن المدح وقال: احثوا في وجوه المداحين التراب» قال: وقال □: «من تولى خصومة ظالم أو أعان عليها، ثم نزل به ملك الموت قال له: أبشر بلعنة الله ونار جهنم وبئس المصير»، قال: وقال □: «من مدح سلطاناً جائراً وتخفف وتضعضع له طمعاً فيه كان قرينه في النار».

قال: «وقال □: قال الله عزوجل: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ وقال □: من ولي جائراً على جور كان قرين هامان في جهنم»(١٠٤).

وقال □: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم»(١٠٥).

وقال رسول الله □: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الظلمة وأعوانهم، من لاط لهم دواة، أو ربط لهم كيساً، أو مد لهم مرة قلم فاحشروهم معهم»(١٠٦).

وقال الإمام الرضا □: «من أحب عاصيا فهو عاص، ومن أحب مطيعا فهو مطيع،

---

(١٠١) الكافي: ج٨ ص٨ ح١.

(١٠٢) تحف العقول: ص٨٨ باب ما روي عن أمير المؤمنين □ وصيته لابنه الحسن □.

(١٠٣) الكافي: ج٢ ص٨٢ باب استواء العمل ح٢.

(١٠٤) وسائل الشيعة: ج١٧ ص١٨٣ ب٤٣ ح٢٢٣٠٦.

(١٠٥) الكافي: ج٢ ص٣٣٣ باب الظلم ح١٦.

(١٠٦) ثواب الأعمال: ص٢٦٠ كتاب عقاب الظلمة باب عقاب الظلمة وأعوانهم.

ومن أعان ظالما فهو ظالم، ومن خذل عادلا فهو ظالم»[١٠٧].

**الإخلاص في العمل:**

قال رسول الله □: «أخلص قلبك يكفك القليل من العمل»[١٠٨].

وقال أمير المؤمنين □: «يستدل على اليقين بقصر الأمل وإخلاص العمل والزهد في الدنيا»[١٠٩].

وقال □: «فضيلة العمل الإخلاص فيه»[١١٠].

وقال □: «للمتقي ثلاث علامات: إخلاص العمل، وقصر الأمل، واغتنام المهل»[١١١]

وقال أبو عبد الله □ في قول الله عزوجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[١١٢]؟ قال: «ليس يعني أكثر عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة» ثم قال: «الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عزوجل والنية أفضل من العمل ألا وإن النية هي العمل. ثم تلا قوله عزوجل. ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾[١١٣] يعني على نيته»[١١٤].

وقال رسول الله □: «ما أخلص عبد لله عزوجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه»[١١٥].

# الفهرس

---

(١٠٧) عيون أخبار الرضا □: ج٢ ص٢٣٥ ب٥٨ ح٧.

(١٠٨) بحار الأنوار: ج٧٠ ص١٧٥ ب ١٢٩ ضمن ح١٥.

(١٠٩) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠١ ب٧ ضمن ح١٢٧٣٨.

(١١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٨ ق٢ ب٢ الفصل٧ ح٣٩٠٨.

(١١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٧٤ ق٣ ب٢ الفصل٥ ح٥٩٩٤.

(١١٢) سورة الملك: ٢.

(١١٣) سورة الإسراء: ٨٤.

(١١٤) الكافي: ج٢ ص١٦ باب الإخلاص ح٤.

(١١٥) عيون أخبار الرضا □: ج٢ ص٦٩ ب٣١ ح٣٢١.

كلمة الناشر ..... ٣
الإسلام وأزمة العاملين له..... ٧
خلفاء الجور ..... ٨
ترك القوانين الإلهية ..... ١٣
العمل الإسلامي ..... ١٥
قصة الأحزاب ..... ١٦
مقارعة الطاغوت..... ٢٨
تهيئة أسباب النصر ..... ٢٨
من واقع الطواغيت ..... ٣٠
حكّام لا حكمة لهم..... ٣٠
طغيان الحجّاج..... ٣٢
الأسباب والمسببات ..... ٦٣
الفضائل ازدهار الحياة..... ٤٠
الرذائل وهلاك المجتمع..... ٤١
الخروج من المأزق ..... ٤٥
حكومة أمير المؤمنين □..... ٤٦
من هدي القُرآن الحكيم..... ٥٦
من هدي السنة المطهرة ..... ٥٨
الفهرس ..... ٦٠

رجوع إلى القائمة